

# غِزَارُ الْأَدَبِ

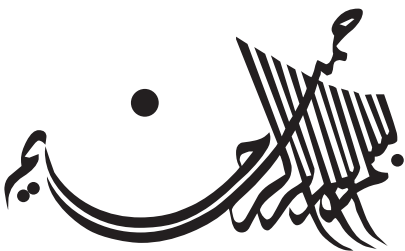
الجزء الثاني

إعداد

د. وهيب بن عبد الرحمن خوج

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



ردمك

## المقدمة

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا خَالِدًا مَعَ خُلُودِكَ ،  
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا دَائِمًا لَا مُنْتَهَى لَهُ دُونَ عِلْمِكَ ، وَلَكَ  
 الْحَمْدُ حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لَهُ دُونَ مَشِيَّتِكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ  
 حَمْدًا لَا أَجْرَ لِقَائِهِ إِلَّا رِضَاكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا مَلِيًّا  
 عِنْدَ كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَتَنَفُّسِ نَفْسٍ ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ،  
 وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ  
 إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُحْسِنِ الْمُتَفَضِّلِ ،  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، الْأَوَّلِ الدَّائِمِ ، الْإِلَهِ الْقَدِيمِ ،  
 الْبَارِئِ الْمَصُورِ ، الْخَالِقِ الْمُقَدَّسِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَدُلُّ  
 عَلَى فَعَالِهِ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ ، وَحُكْمَتِكَ تَعْجِبُ مِنْهَا

الألباب والأفكار . اللهم صلّ وسلّم على نبينا وسيدنا  
 محمّدٍ ، بلسم الشفا وسبيل النجا ، وروح الهدى ،  
 وعنصر الحيا ، وسندس الحلى ، وفوح الشذى ، وعلى  
 آله وصحبه وأزواجه وذريته وإخوانه والتابعين ما دام  
 تعاقب الليالي والأيام ، ومادام فرحٌ وأحزان ، فإنّ الله في  
 كل يوم له شأن . أمّا بعد : فقد قال الله تعالى : ﴿الْمَالُ  
 وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ  
 عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦) ، وقال تعالى :  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ  
 أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠) (٢) .

إنّ الله اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه

(١) سورة الكهف : آية ٤٦ .

(٢) سورة الكهف : آية ٣٠ .



وفضّله وأرشده ورزقه وأنعم عليه ، ومن كلّ خير  
أغدق عليه ومن كلّ شدةٍ نَجَّاه ، ومن كلّ كربٍ نفس  
عنه ، ومن كلّ بلاءٍ عافاه ، فخلقه لنفسه وشرفه بعبادته  
وطاعته ، وتودد إليه وتحبّب إليه بالنعيم والكرم ، وخلق  
كلّ شيءٍ له ، وخصه من معرفته ومحبته وقُربه وإكرامه  
بما لم يعطه غيره ، وسخر له ما في سماواته وأرضه وما  
بينهما ، حتى ملائكته الذين هم أهل قربه ، استخدمهم  
له ، وجعلهم حفظةً له في منامه ويقظته ، ووظّعه وإقامته  
وأنزل إليه وعليه كتبه ، وأرسله وأرسل إليه ، وخاطبه  
وكلمه منه إليه واتخذ منهم الخليل والكليم والأولياء  
والخواص الأحرار ، وجعلهم معدن أسرارهم ، ومحل  
حكمتهم ، وموضع حبه ، وخلق لهم الجنة والنار ، وخلق  
الأمر ، والثواب والعقاب ، ومداره على النوع الإنساني

فإنَّه خلاصة الخلق ، وهو المقصود بالأمر والنهي ،  
وعليه الثواب والعقاب .

فللإنسان شأنٌ ليس لسائر المخلوقات ، وقد خلق أباه  
بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته وعلمه  
أسماء كل شيء ، وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم  
من جميع المخلوقات ، وطرد إبليس عن قربهِ ، وأبعده  
عن بابهِ ، إذ لم يسجد له مع الساجدين ، واتخذهُ عدوًّا  
له . فالمؤمن من خير النوع الإنساني ، وخيرة الله من  
العالمين ، فإنَّه خلقه ليتِمَّ نعمته عليه ، وليتواتر إحسانه  
إليه ، وليخصه من كرامته وفضله بما لم تنله أمنيته ،  
ولم يخطر على بالهِ ولم يشعر به ؛ ليسأله من المواهب  
والعطايا الباطنة والظاهرة العاجلة والآجلة ، التي لا تُنال  
إلا بمحبته ، ولا تُنال محبته إلا بطاعته ، وإيثاره على

ما سواه ، فاتخذهُ محبوباً له ، وأعدَّ له أفضل ما يعده  
 محبٌ غنيٌّ قادرٌ جوادٌ لمحبوبه إذا قدم عليه ، وعهد إليه  
 عهداً تقدم إليه فيه بأوامره ونواهيه ، وأعلمه فيه عهده  
 ما يقربه إليه ، ويزيده محبةً له وكرامةً عليه ، وما يبعده  
 منه ويسخطه عليه ، ويسقطه من عينه . ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا  
 بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (١) .

لقد أجرى الله للعباد أرزاقهم من غير أن يكون  
 لأحدٍ منَّةٌ ولا قوةٌ ، فهو سبحانه الرزاق الكريم ذو  
 القوة المتين ، أعطى وأقنى ، ومنح وأغنى ، وسنّ أموراً  
 وشرع شرائع تنظّم حياة الناس في معاشهم وتكفل  
 لهم حياةً رغيدةً ساميةً ، فقال سبحانه وتعالى :

(١) سورة الإسراء : آية ٧٠ .

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا  
وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا  
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦٧) (٢) .

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا  
وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٥) (٣) .

عظمت في هذه الأيام شكوى الناس من غلاء  
الأسعار وكساد الأرباح ، وفشو البطالة وانتشار  
الخسارة . ويتساءل المحللون والمفسرون أنى هذا؟ وما  
هي السبل التي تسهم في علاج هذه الظواهر؟ وما  
الذي يمكن أن يسهم في تخفيف حدة المعاناة للناس؟

(١) سورة الأعراف : آية ٣١ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٦٧ .

(٣) سورة النساء : آية ٥ .

أقول : هي شنشنة نعرفها من أخزم!! وأصواتٌ  
تدوي في صحراء بلا إجابة إلا لرجع الصوت .

لقد غاب المسلمون اليوم برهم وفاجرهم عن  
المعاني الحقيقية المسيّبة لهذه الظواهر الناشئة ، إنّها  
في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي  
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) . (١)

نعم إنه الفساد الذي قد شاع في البر والبحر ، فتسلط  
على الناس نزع البركات وجذب الأرض ، وقلة  
النبات ، وهلاك المحاصيل ، ونفوق بهيمة الأنعام  
والماشية ، وكساد الربح في التجارات ، وضعف الريع

(١) سورة الروم : آية ٤١ .

في الزراعات والدر والنسل في الحيوانات ، ومحق  
البركات من كل شيء ، وغلبة الأعداء وتنفذهم  
وتحكمهم بموارد المسلمين ، وانتشار الحروب والفتن .  
كلّ ذلك بسبب شؤم المعاصي التي كسبها الناس  
في البر والبحر ، من أكلٍ للأموال بالباطل واستحلالٍ  
للحرام من البيوع المشبوهة والمعاملات المنهي عنها من  
غشٍّ وغررٍ وغبنٍ ونجشٍ واحتيالٍ وغصبٍ وغيرها  
العظيم والكثير . وتفاخر التجار بالاحتكار والتضييق  
على الناس في معاشهم ، إغفالاً لتهديد النبي ﷺ  
بقوله : «مَنْ اخْتَكَرَ حِكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغَالِيَ بِهَا عَلَى  
الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ وَقَدْ بَرَأْتُ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ» (١) .

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه  
وعند مسلم من حديث عبد الله بن معمر بن نضلة بلفظ : «مَنْ  
اخْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ» .

وقوله ﷺ : «مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَقْعَدَهُ بِعَظَمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١) .

والتباهي بأخذ الرُشى وأكل أموال الناس بالباطل وانتفاش الباطل عموماً من قتلٍ وتعدٍ على الأنفس المعصومة ، وفشو الزنا بجميع صورهِ وأشكالهِ ، بل ويجاهر به على مرئياتنا ومسموعاتنا ومقروءاتنا ، ولم يسلم منه صغيرٌ ولا كبيرٌ ، وعِظم ظهور السحر والسحرة والمشعوذين بين الناس وظاهرة التصديق بهم والإقبال عليهم ، والاستقسام بالأنواء والاستسقاء بالنجوم ، ومتابعة الأبراج وأخبارها ، واستحلال

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب، والهيثمى في مجمع الزوائد من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه .

الحرام من المسلمين والجرأة على المحارم وانتهاك  
حرمات الله ، والاستخفاف بالشرع الحنيف .

ورأس الجرم وأم المصائب انتشار الربا الصريح  
في التعاملات بين الناس ، وهو الإذن بحرب الله  
تعالى ، وقد استعدينا ربنا ، فلماذا العجب إذا ؟ ولماذا  
الاستنكار والعويل ؟ لقد تركزت الأموال لدى فئة  
قليلة من المجتمع في العالم الإسلامي سيطرت على  
المصارف وحازت جانباً هاماً من الأموال ، وسيطرت  
على اقتصاد المجتمع ، ومن ثمّ امتدت سيطرتها  
إلى سياسة وتشريعات المجتمع وأخلاقياته وبالتالي  
التحكم في ارتفاع تكاليف إنتاج السلع ؛ لما تتحمله من  
فائدة على رأس المال المتسببة في ارتفاع الأسعار . وهو



ما يؤدي إلى تشجيع الاكتناز والاحتكار؛ مما يؤدي إليه من انكماشٍ في دائرة التبادل في السلع والمنتجات في الأسواق، وتحويل الأموال إلى المصارف للحصول على دخلٍ ثابتٍ ومضمونٍ، وما يترتب على ذلك من أزمات . ونتائجها ما نلحظه اليوم في العالم الإسلامي أجمع من بطالةٍ وكسادٍ وركودٍ وتضخمٍ عكسي .  
 أليس هذا كله كفيلاً بقوله : ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١) .

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣٠) (٢) .

(١) سورة الروم : آية ٤١ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٣٠ .

إذا أين الحل أيها المباركون؟ وما هو المخرج من هذه  
الأزمة وكيف يمكن للأمة أن تتعايش مع هذا الواقع  
الموجع المؤلم؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْزَنَةٍ نُّنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَّمنُونَ بِاللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ  
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ  
تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ  
وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ  
تُجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ (١) .

﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَا  
حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ وَإِنْ  
تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ  
مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ (٢) .

(١) سورة إبراهيم : آية ٢٩ .

(٢) سورة هود : الآيتان ٣ ، ٤ .



## وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ  
مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩) .

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) .

التوكل هو من أجلّ السبل عند الخاصة وأعظمها قدرًا، وأنه أعظم منازل الدّين ، ومقام من مقامات الموقنين ، بل هو من معالي درجات المقربين ، وهو من المأمور به قطعًا ، والمدعو للتعلق به جزمًا وأمرًا ، فأعظم بمقام موسومٌ صاحبه بمحبة الله تعالى ، ومضمونٌ بكفاية الله تعالى ملابسه ، فمنّ الله تعالى حسبه وكافيه

(١) سورة الملك ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٢٣ .

ومحبته ومراعيه، فقد فاز الفوز العظيم ، فإنَّ المحبوب لا يُعَذَّب ولا يُبْعَد ولا يُحْجَب ، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٦) (١) ، فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل : هو المكذب لهذه الآية ، فإنه سؤال في معرض الاستنطاق بالحق ، ﴿ إِذْ يَكُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٩) (٢) .

أي عزيز لا يذلُّ من استجار به ، ولا يُضَيِّع من لا ذر جناحه والتجأ إلى ذمامه وحماه ، وحكيم لا يُقْصِر عن تدبير من توكل على تدبيره .

(١) سورة الزمر، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٤٩ .

واعلموا أيها الموحدون : أنَّ التوكل من أصعب منازل  
 المكلفين الموحدين ، وهو من أعمال القلوب ، التي لا  
 يعلمها إلاَّ علام الغيوب ، وهو علمٌ جليلٌ ، قام بالقلب  
 بكفاية الربِّ للعبد ، وهو انطراح القلب بين يدي الرب  
 بترك الاختيار ، والاسترسال مع مجاري الأقدار بما  
 يريده الله تعالى ، والرضا بالمقدور ، والثقة بالله العزيز  
 الغفور ، والطمأنينة إليه والسكون إليه ، التوكل : هو  
 التعلق بالله في كل حال ، ونفي الشكوك ، والتفويض  
 إلى مالك الملوك ، وخلع الأرباب وقطع الأسباب عن  
 تعلق القلب بها ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : «لَوْ أَنَّكُمْ  
 تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ  
 الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (١) .

(١) أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (١).

فيا سبحان الله ! من ذا الذي أغضب الجليل حتى أقسم بهذا القسم العظيم سبحانه؟ ماذا رأى العزيز الوكيل من عباده ، حتى أجرى هذا القسم مجرى الأمر والحكم، نعم لقد رأى نكراناً وجحوداً ، وعقداً للأسباب على أنها مسببات ، فلو أحسن السارق تلاوة الآية ما سرق، ولو أعظم المراهبي قراءة الآية ما اجتراً على أكل الحرام ، وهكذا كل مفتتت على مقام العزة والجبروت .

سبحان الله العظيم ما أجرأ العباد على الله ، وما

(١) سورة الذاريات ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .



أَحْلَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ! قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : «مَتَى رَضِيتَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ، وَجَدْتَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ سَبِيلًا» . نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَسْنَ الْأَدَبِ مَعَهُ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ : «فِي وَجُودِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الرِّزْقَ مَأْمُورٌ بِطَلَبِ الْعَبْدِ» ،

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ : «سَأَلْتُ بَعْضَ الرُّهْبَانِ : مَنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ فَقَالَ لِي : لَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ عِنْدِي ، وَلَكِنْ سَلْ رَبِّي مَنْ أَيْنَ يَطْعَمُنِي؟» . سَبَّحَانَ اللَّهَ الْعَظِيمِ هَذَا عَلَى لِسَانِ نَصْرَانِيٍّ وَثَنِيٍّ !! فَأَيْنَ الْمُوَحِّدُونَ مِنْ هَذَا التَّفْوِيضِ وَالتَّوْحِيدِ ؟ أَيْنَ الْمُحَمَّدِيُّونَ مِنْ تَحْقِيقِ حَقِيقَةِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ شَكٌّ وَارْتِيَابٌ ، وَتَخَبُّطٌ وَتَعَلُّقٌ بِالْأَسْبَابِ ، وَثِقَةٌ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَقَنُوطٌ وَيَأْسٌ

عَمَّا فِي يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْعِلْمِ بِأَسْمَاءِ  
اللَّهِ وَصِفَاتِهِ؟ أَيْنَ الْمُتَوَكِّلُونَ مِنْ رُسُوحِ الْقَلْبِ فِي مَقَامِ  
التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ ، وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتِنَادِهِ  
إِلَيْهِ وَسُكُونِهِ إِلَيْهِ ، وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِ سُبْحَانَهُ ، وَاسْتِسْلَامِ  
الْقَلْبِ لَهُ ، وَانْجَذَابِ دَوَاعِيهِ كُلِّهَا إِلَيْهِ ، وَقَطْعِ مَنَازِعَاتِهِ  
وَتَفْوِيضِ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لَا تُدَبِّرْ لَكَ أَمْرًا      فَأُولُوا التَّذْيِيرِ هَلَكَى  
سَلَّمَ الْأَمْرَ تَجِدْنَا      نَحْنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكََا

سئل يحيى بن معاذ ، متى يكون الرجل متوكلاً؟  
فقال : «إِذَا رَضِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا» . نعم إِذَا رَضِيَ الْعَبْدُ  
بِاللَّهِ وَكِيلًا ، هِيَ كَلِمَاتُ لَكْنَهَا مِنْ مَقَامِ الْوَحْيِ وَفِي  
مَعْنَى الْوَحْيِ .

يقول بشر الحافي : يقول أحدهم : توكلتُ على الله ، يكذب على الله ؛ لو توكل على الله ؛ لرضي بما يفعله الله به . فيا لله العجب!! نعم إنه سوء ظنٌ يلقنه إبليس ، فمن وثق بما في يدي الله تعالى ، فقد أحرز قوته وحقق الأدب مع ربه ، ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

فإذا لم ينشغل العبد بما ضُمن له من الرزق عن المفروض عليه من العمل ، حفظ أمر آخرته ، ونال من الدنيا ما قد كُتب له .

مقام التوكل ، هو : مدرسة إبراهيم الخليل عليه السلام ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٨ .

وجامعة المصطفى ﷺ ، ومنهجٍ يطلقه رسل الله تعالى وأنبيأؤه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، حقيقةً دائمةً ، فعلى الله وحده يتوكل المؤمن ، لا يلتفت قلبه إلى سواه ، ولا يرجو عوناً إلاّ منه ، ولا يرتكن إلى حماه ، ثم هم يواجهون طغيان الماديات بالإيمان والتوحيد ، ويقفون أمام عواصف الانحراف بالاستعانة والتوكل على الله تعالى لردها ودحضها ، ثباتٌ وأي ثبات !!

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَا أَن نَّاتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١) .

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١١ .

قيل لحاتم الأصم : علام بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال : على أربع خلال : علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري ، فلستُ أهتم به ، وعلمتُ أن عملي لا يعملُه غيري ، فأنا مشغولٌ به ، وعلمتُ أن الموت يأتيني بغتةً ، فأنا أبادره ، وعلمتُ أنني بعين الله في كلِّ حال ، فأنا مستح منه.

وقال له رجلٌ ذات مرة : من أين تأكل ؟ فقال : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله ، أنه قال : «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرَبُ مِنْ

(١) سورة المنافقون ، الآية : ٧ .

الْمَوْتُ ، لِأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ . (١)

يَجُولُ الْغَنَى وَالْعَزِيزُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ	لَيْسَتْ وَطَنًا قَلْبَ الْمَرْءِ إِنْ تَوَكَّلَا
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ كَانَ مَوْلَاهُ حَسْبُهُ	وَكَانَ لَهُ فِي مَا يُحَاوِلُ مَعْقِلًا
إِذَا رَضِيتُ نَفْسِي بِمَقْدُورِ حَظِّهَا	تَعَالَتْ وَكَانَتْ أَفْضَلَ النَّاسِ مَنَزَلًا

رأس الأمر ، هو التوكل على الله تعالى مع إسقاط  
الطلب من الخلق لا من الحق ، وغض العين عن  
السبب ؛ اجتهداً لتصحيح التوكل ، وقمعاً لشرف  
النفس ، وتفرغاً إلى حفظ الواجبات ، وهو من  
أنفع الأمور للعبد ، فإنَّ الطلب من الخلق وسؤالهم  
واستجدائهم في الأصل محذور ، وغايته أن يباح  
للضرورة ، كإباحة الميتة للمضطر ، حقاً : إِنَّهُ ظَلَمٌ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، والسيوطي في الجامع الصغير ،  
والعجلوني في كشف الخفاء .

للنفس ، وسوء أدب مع مقام الربوبية ؛ لما فيه من  
الذل لغير الله تعالى ، وإراقة ماء الوجه لغير خالقه ،  
والتعويض عن سؤاله بسؤال المخلوقين ، والتعرض  
لمقتته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه ، وظلم في  
حق الخلق ، بمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال ،  
واستخراجه منهم ، وأبغض ما إليهم : من يسألهم  
ما في أيديهم ، وأحب ما إليهم من لا يسألهم ؛ فإن  
أموالهم محبوباتهم ، ومن سألك محبوبك ، فقد  
تعرض لمقتك وبغضك ، وظلم في حق النفس ،  
بامتهانها وإقامتها في مقام ذل السؤال ، ورضى لها  
بذل الطلب ممن هو مثله ، أو لعل السائل خير منه  
وأعلى قدرًا ، وترك سؤال من ليس كمثله شيء  
وهو السميع البصير .

فالسائل والمستجدي من الناس بكثرة سؤالهم قد رضي لنفسه أن يقيمها مقام الذل ، وإهانتها بذلك ، ورضي أن يكون شحاذاً من شحاذٍ مثله ، فإن من تشحذه فهو أيضاً شحاذٌ مثلك ، والله وحده هو الغني الحميد ، فسؤال المخلوق للمخلوق : سؤال الفقير للفقير ، والرب تعالى كلما سألته كرمته عليه ورضي عنك وأحبك ، والمخلوق كلما سألته هنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك . وقبيح بالعبد أن يتعرض لسؤال العبيد ، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد .

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلی الله علیه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال صلی الله علیه وسلم : «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» ، وكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بَبَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،



ثُمَّ قَالَ ﷺ : «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» ، فَبَسَطْنَا  
 أَيْدِينَا ، وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَعَلَامَ  
 نُبَايِعُكَ؟ فَقَالَ ﷺ : «أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا  
 بِهِ شَيْئًا ، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَأَسْرَرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً ،  
 وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» ، قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ  
 أَوْلِيكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا  
 أَنْ يُنَاوِلَهُ إِيَّاهُ» (١) .

وَصَدَقَ الْفُضَيْلُ عِنْدَمَا قَالَ : «التَّوَكَّلْ قَوَامُ الْعِبَادَةِ» .

شَكَا رَجُلٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهْمَ كَثْرَةَ عِيَالِهِ ، فَقَالَ  
 لَهُ إِبْرَاهِيمُ : «يَا أَخِي ، انْظُرْ كُلَّ مَنْ فِي مَنْزِلِكَ لَيْسَ  
 رِزْقُهُ عَلَى اللَّهِ ، فَحَوِّلْهُ إِلَى مَنْزِلِي» .

(١) متفقٌ عليه .

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما ، عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ : «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» <sup>(١)</sup> .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ : «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكْثُرًا ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرَ» <sup>(٢)</sup> .

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله : «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكِدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا ، أَوْ فِي الْأَمْرِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ» <sup>(٣)</sup> .

(١) متفقٌ عليه .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه الترمذي والنسائي .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ : « لَا تَجْعَلْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ  
 اللَّهِ عَلَيْكَ مُنْعِمًا ، وَاعْدُدْ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ  
 مَغْرَمًا » . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ  
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣) . (١)

عن أَبِي قَدَامَةَ الرَّمْلِيِّ قَالَ : قَرَأَ رَجُلٌ هَذِهِ الْآيَةَ :  
 ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ  
 وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٨) . (٢) . قَالَ :  
 فَأَقْبَلَ عَلَيَّ سُلَيْمَانُ الْخَوَّاصُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا قَدَامَةَ ،  
 مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَحَدٍ بَعْدَ اللَّهِ  
 فِي أَمْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : انْظُرْ كَيْفَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٥٨ .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ، فَأَعْلَمَكَ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ ، وَأَنَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ يَمُوتُونَ ، ثُمَّ أَمَرَكَ بِعِبَادَتِهِ ، فَقَالَ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ ، ثُمَّ أَخْبَرَكَ بِأَنَّهُ خَيْرٌ بَصِيرٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَبَا قُدَامَةَ ، لَوْ عَامَلَ عَبْدُ اللَّهِ بِحُسْنِ التَّوَكُّلِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ لَهُ بِطَاعَتِهِ ؛ لَاحْتَأَجَّتْ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ فَمَنْ دُونَهُمْ ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا مُحْتَاجًا ، وَمَوْئِلُهُ وَمَلْجَأُهُ إِلَى الْغِنَى الْحَمِيدِ .

عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» <sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، وأحمد في المسند ، والبخاري في شرح السنة .

وفي السنن عن ثوبان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا ، أَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ» ، فقلتُ : أنا ، فكانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا رضي الله عنه (١) .

وعن قَيْصَةَ رضي الله عنه ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً : رَجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةً ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ، ثُمَّ يُمْسِكَ ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاَحَتْ مَالَهُ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ : سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ ، حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ : لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ

(١) أخرجه المنذريُّ في الترغيب والترهيب ، والهيتمي في مجمع الزوائد .

حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ  
يَا قَبِيصَةً ، فَسُحْتُ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا» (١) .

فَأَيْنَ الْمُتَسَوِّلُونَ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ الْمُبَارَكَةِ ؟ أَيْنَ  
الْمُتَقَاعِسُونَ عَنِ التَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِضِ لِلَّهِ تَعَالَى بِالتَّدْبِيرِ ،  
وَالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِهِ سُبْحَانَهُ .

وَمَلَأْتُ قَلْبِي مِنْكَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ  
وَالْقَلْبُ فِيكَ هَيَامُهُ وَغَرَامُهُ  
مِنِّي مَكَانًا خَالِيًا لِسِوَاكَ  
وَالرُّوحُ لَا تَفُكُّ عَنْ ذِكْرِكَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ .

## الْبَدِيلُ الْحَقُّ

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا  
 تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ  
 فَنِظْرَةٌ إِلَىٰ مِيسْرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ  
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ  
 إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا  
 يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ (١) .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم  
 خَطَبَهُمْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ :  
 «أَلَا وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلَةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ  
 هَاتَيْنِ ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وأوَّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دُمُ  
 ربيعة بن الحارث ، وربا الجاهلية موضوعٌ ، وأوَّلُ رُبَّا

(١) سورة البقرة ، الآيات : ٢٧٥ - ٢٨١ .



أَضَعُهُ رَبَانَا، رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ  
كُلُّهُ....» (١) .

هَذَا هُوَ الْوَجْهَ الْكَالِحُ الطَّالِحُ لِلرَّبَا ، لِهَذَا عَرْضُهُ  
اللَّهُ عَرْضًا مَنفَرًّا ، يَكْشِفُ عَمَّا فِي عَمَلِيَّاتِ الرَّبَا مِنْ  
قَبْحٍ وَشَنَاعَةٍ ، وَمِنْ جَفَافِ الْقَلْبِ وَشَرِّ فِي الْمَجْتَمَعِ ،  
وَفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ وَهَلَاكِ لِلْعِبَادِ ، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا  
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ  
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ  
تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (٢) .

ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : أَكْثَرُ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَابْنُ مَاجَهَ .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، الْآيَاتُ : ١٣٠ - ١٣٢ .

ما ينزع الإيمان من العبد عند الموت . ثم قال : فنظرنا في الذنوب التي تنزع الإيمان ، فلم نجد شيئاً أسرع نزعاً للإيمان من ظلم العباد . ﴿فِظْلَمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١) .

ولم يبلغ من تفضيع أمرٍ أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفضيع الربا وشأنه ، ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا ، إن البشرية اليوم تنحدر انحداراً خطيراً ، وتهوي في مكانٍ سحيقٍ ، جراء تبعيتها لأمة غاوية مستكبرة ، استحقت

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦١ .

جميع أنواع العقاب وألوان العذاب ، واستحكمت فيها سنة الله بالأخذ والاستئصال ، وقد أخذ الله عز وجل قوم شعيب بذنب هو دون الربا ، ولكنه لما تحمّل الأمر ظلم العباد وأكل أموالهم بالباطل ، ووقعت لهم النذارة والتخويف ، ولم يرعوا ؛ أخذهم الله تعالى بصيحة أهلكتهم واستأصلت شأفتهم .

﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَتَقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (١) .

(١) سورة هود ، الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

إلى أن قال الله تعالى في عاقبتهم : ﴿وَلَمَّا جَاءَ  
 أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا  
 وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ  
 جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا  
 بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ۝ (١) .

إنَّ حكمة تحريم الربا اليوم تظهر جليلة واضحة في  
 عالمنا المتحضر، ومدنيتنا المقيتة البائسة، تتكشف اليوم  
 حكمتها على ضوء الواقع الفاجع في حياة البشرية،  
 أشدَّ ممَّا كانت متكشفةً في الجاهلية الأولى، ويدرك  
 من يريد أن يتدبر حكمة الله وعظمة هذا الدين  
 وكمال هذا المنهج ودقة هذا النظام، يدرك اليوم  
 من هذا كله ما لم يكن يدركه الذين واجهوا هذه

(١) سورة هود، الآيتان : ٩٤، ٩٥ .

النصوص أول مرة ، وأمامه اليوم من واقع العالم ما يصدّق كل كلمةٍ تصديقاً حياً مباشراً واقعاً .

والبشرية الضالة التي تأكل الربا وتوكله ، تنصب عليها البلايا الماحقة الساحقة من جراء هذا النظام الربوي المهلك ، المستجلب لجميع أنواع السخط الإلهي ، والمقت الربّاني ، فتصاب الأمم في أخلاقها وتعاقب في دينها وصحتها واقتصادها ، وتتلقى حقاً حرباً من الله تَصُبُّ عليها النعمة والعذاب ، أفراداً وجماعات ، وأمماً وشعوباً ، وهي لا تعتبر ولا تفيق .

إنّ النظام الربوي الذي أقرته الحكومات العالمية أجمع ، إنّما هو نظامٌ يصطدم ابتداءً مع قواعد التصور الإيماني إطلاقاً ، ونظامٌ يقوم على تصورٍ آخر ،

تصوّرٍ لا نظر فيه لله عزَّ وجلَّ ، ومن ثم لا رعاية فيه للمبادئ والغايات والأخلاق التي يريد الله للبشر أن تقوم حياتهم عليها . إنَّه يقوم ابتداءً على أساس أن لا علاقة بين إرادة الله وحياة البشر ، فالإنسان هو سيد هذه الأرض ابتداءً ؛ وهو غير مقيدٍ بعهدٍ من الله ؛ وغير مُلزمٍ باتباع أوامر الله !!

ثم إنَّ الفرد حرٌّ في وسائل حصوله على المال ، وفي طرق تنميته ، كما هو حرٌّ في التمتع به ، غير ملتزمٍ في شيءٍ من هذا بعهدٍ من الله أو شرطٍ ، وغير مقيدٍ كذلك بمصلحة الآخرين ، ومن ثمَّ فلا اعتبار لأن يتأذى الملايين إذا هو أضاف إلى خزائنه ورصيده ما يستطيع إضافته ، هذه الأنظمة الماكرة الربوية تقوم

على أساس تصورٍ خاطئٍ فاسدٍ ، هو أنّ غاية الغايات  
 للوجود الإنساني ، هي تحصيله للمال بأي وسيلةٍ ،  
 واستمتاعه به على النحو الذي يهوى! ومن ثمّ  
 يتكالب على جمع المال وعلى المتاع به ؛ ويدوس في  
 الطريق كلّ مبدأٍ وكلّ صالحٍ للآخرين!

ثمّ ينشئ في النهاية نظاماً يسحق البشرية سحقاً ،  
 ويشقيها في حياتها أفراداً وجماعاتٍ ، ودولاً وشعوباً  
 لمصلحة حفنةٍ من المرابين ؛ ويحطها أخلاقياً ونفسياً  
 وعصبياً ؛ ويحدث الخلل في دورة المال ونمو الاقتصاد  
 البشري نمواً سَوِيّاً ، وينتهي كما هو الحال اليوم في  
 منظومة عالمنا الجديد إلى تركيز السلطة الحقيقية  
 والنفوذ العملي على البشرية كلّها في أيدي زمرةٍ

من أخط خلق الله وأشدّهم شراً ؛ وشرذمةٍ ممّن لا  
يرعون في البشرية إلّا ولا ذمّةً ، ولا يراقبون فيها عهداً  
ولا حرمةً ، وهؤلاء هم الذين يُدائِنون النّاس أفراداً ،  
كما يُدائِنون الحكومات والشعوب في داخل بلادهم  
وفي خارجها ، وترجع الحصيلة الحقيقية لجهد البشرية  
كلّها ، وكدّ الأدميين وعرقهم ودمائهم ، في صورة  
فوائد ربويّةٍ لم يبذلوا هم فيها جهداً!

وهؤلاء المرابون اليوم لا يملكون المال وحده ،  
وإنّما يملكون النفوذ والسلطة والقوة ، ولما لم تكن  
لهم مبادئ ولا أخلاق ولا تصور ديني أو أخلاقي  
على الإطلاق ، بل لما كانوا يسخرون من حكاية  
الأديان والأخلاق والمثل والمبادئ ، فإنّهم بطبيعة



الحال يستخدمون هذا النفوذ الهائل الذي يملكونه في إنشاء الأوضاع والأفكار والمشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال ، ولا تقف في طريق جشعهم وخسة أهدافهم .

وأقرب الوسائل ؛ هي تخطيط أخلاق البشرية وإسقاطها في مستنقع آسنٍ من اللذائذ والشهوات ، التي يدفع فيه الملايين من البشر آخر فلسٍ يملكونه ، حيث تسقط أموالهم في المصائد والشباك المنصوبة <sup>(١)</sup> ، وذلك مع التحكم في جريان الاقتصاد العالمي وفق مصالحهم المحدودة مهما أدى هذا إلى الأزمات الدورية المعروفة في عالم الاقتصاد ، وإلى انحراف الإنتاج الصناعي والاقتصادي كلها عما فيه

(١) كما هو حال أسواق المال ، وأقرب مثال : سوق الأسهم السعودية ، التي طالما حذرنا الناس من الوُلُوغ فيها .

مصلحة المجموعة البشرية إلى مصلحة الممولين المرابين ،  
الذين تتجمع في أيديهم خيوط الثروة العالمية .

وحقيقة الكارثة المالية ، والمعبر عنها بأزمة سوق المال  
العالمي ، أو أزمة الرهن العقاري في أمريكا ، أو أزمة  
بورصة وول ستريت ، الحقيقة هي : أن المتنفذين في  
سوق المال العالمي إدارةً وتخطيطاً نجحوا وبامتياز في  
صياغة عقلية بشرية خاضعة للإيحاء الخبيث المسموم ،  
بأن الربا هو النظام الطبيعي المعقول ، والأساس الصحيح  
المقبول ، الذي لا أساس غيره للنمو الاقتصادي ، وهو  
سبب نهضة الحضارة والتقدم في العالم الغربي . وفق  
هذا بات من المسلّم لدى العالم أن يهرع البشر كلّهم  
إلى أسواقٍ مجهولةٍ ويخوضوا تجربة نظامٍ لا يعقلوه

ولا يمكن لهم أن يصنعوا قراره مهما كانت إمكانياتهم العلمية والسلطوية .

إنّ النظام الربوي العالمي الذي أقره حفنة مشؤمة من البشر، هم أقدر خلق الله خلقاً وديناً ، هو نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة ، وقد توافر أساتذة اقتصاديون غربيون على انتقاده ، والدعوة إلى إلغائه ، وإقرار تجربة الحل الإسلامي والبديل الشرعي الإلهي .

يقول الدكتور شاخت الألماني ومدير بنك الرايخ الألماني سابقاً : إنه بعملية رياضية غير متناهية ، يتضح أنّ جميع المال في الأرض صائرٌ إلى عددٍ قليلٍ جداً من المرابين . ذلك أنّ الدائن المرابي يربح دائماً في كلّ

عملية ؛ بينما المدين معرّضٌ للربح والخسارة ، ومن ثمّ فإنّ المالَ كُلَّهُ في النّهاية لا بد - بالحساب الرياضي - أن يصير إلى الذي يربح دائماً ، وأنّ هذه النظرية في طريقها للتحقق الكامل ، فإنّ معظم مال الأرض الآن يملكه - ملكاً حَقِيقِيّاً - بضعة ألوفٍ ، أمّا جميع مُلّاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك ، والعُمّالُ ، وغيرُهم فهم ليسوا سوى أجراء يعملون لحساب أصحاب المال ويجني ثمرة كدّهم أولئك الألوف !! .

عن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ بِلَالٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمْرٍ بَرْنِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مِنْ أَيْنَ هَذَا؟» قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيٌّ ، فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَوَّه !! عَيْنُ الرَّبِّ بَا ،

عَيْنُ الرَّبِّ ، لَا تَفْعَلْ ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ ، فَبِعِ  
التَّمَرِ بَبَيْعٍ آخَرَ ، ثُمَّ اشْتَرِ بِهِ» (١) .

يَا اللَّهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ بَلَغَ التَّخَوُّفُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ  
والتحذير من شبح الربا في أية عملية كانت ، وإلى  
أي مدى بلغت حكمة المصطفى ﷺ في علاج  
عقلية الربا الجاهلية في ذلك الوقت . فليكن الذين  
يتلاعبون بأحلام الناس وعقولهم بتسويق التسهيلات  
المالية والمعاملات التي لا تنفكُ جميعُها وَرَبُّ الكَعْبَةِ  
مِنْ شُبْهَةِ الرَّبِّ ، نَاهِيكَ عَنْ صَرِيحِهِ وَقَبِيحِهِ ، فَلْيَتَّقِ  
اللَّهَ كُلُّ مُتَجَاسِرٍ مُتَطَاوِلٍ ، وَلْيَخَسَأِ الْمُتَعَالِمُونَ  
وَلْيَكْفُوا شُرُورَهُمْ عَنِ النَّاسِ ، فَمَا حَصَلَ فِي دُولِ

(١) متفقٌ عليه .

الْكُفْرُ سَيَنْسَحِبُ عَلَيْنَا شُؤْمُهُ وَذُلُّ عِقَابِهِ ، وَمَا كَسَادُ  
 بَضَائِعِنَا ، وَارْتِفَاعُ أَسْعَارِنَا ، وَجَشَعُ تَجَارِنَا ، وَانْتِزَاعُ  
 الْبَرَكََةِ مِنْ أَقْوَاتِنَا وَأَبْدَانِنَا ، وَكَثْرَةُ الْبَلَاءِ فِينَا بِالْحَوَادِثِ  
 وَإِزْهَاقِ النُّفُوسِ ، إِلَّا نَتِيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِمَا فِي مَعَامِلَاتِنَا  
 الْمَصْرِفِيَّةِ كَافَةً مِنَ الرِّبَا الصَّرِيحِ وَالْمُتَلَفِ الْمُلْتَوِي ،  
 الْمُقَنَّعِ بِفَتَاوَى جَرِيئَةٍ ، وَتَحْلِيلَاتِ اقْتِصَادِيَّةٍ مُتَهَافَتَةٍ ،  
 وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَاوَلَةٌ لَا تَزِيدُ عَلَى أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً مِنْ  
 ظَوَاهِرِ الْهَزِيمَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ ، فَالْإِسْلَامُ لَيْسَ نِظَامَ  
 شَكْلِيَّاتٍ ، إِنَّمَا هُوَ نِظَامٌ يَقُومُ عَلَى تَصَوُّرٍ أَصِيلٍ ، فَهُوَ  
 حِينَ حَرَّمَ الرِّبَا ، لَمْ يَكُنْ يَحَرِّمُ صُورَةً مِنْهُ دُونَ صُورَةٍ ،  
 إِنَّمَا كَانَ يَنَاهِضُ تَصَوُّرًا يَخَالِفُ تَصَوُّرَهُ ؛ وَيَحَارِبُ عَقْلِيَّةً  
 لَا تَتَمَشَّى مَعَ عَقْلِيَّتِهِ ، وَيَرْفُضُ جَمِيعَ الْمُلَوَّنَاتِ لِنِظَامِهِ

المالي الأصيل ، ولا يمكن أن يكون هناك بديل عنه ،  
إلا وفق منظومته ومن خلال شرعته ودُستوره .

وقد قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١)

فإلى الذين يأكلون الربا ، فليسوا هم الذين يأخذون  
الفائدة الربوية وحدهم ، إنما هم أهل المجتمع الربوي  
كلهم ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : لعن

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الرَّبَا وَمُوكِلُهُ ، وَشَاهِدِيهِ ،  
وَكَاتِبُهُ ، وَقَالَ : «هُمْ سَوَاءٌ» (١) .

كان هذا في العمليات الربوية الفردية ، فما بالكم  
بمجتمع يقوم أساسه على الربا ، فأهله كلهم ملعونون ،  
مُعَرَّضُونَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، مَطْرُودُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِلا مَنَازِعٍ  
ولا جَدَالٍ . ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّالْيَرْبُوءِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ  
فَلَا يَرْبُوءُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ  
اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (٢) .

نعم إنه مالٌ محقوق البركة ، قد شهد الله له بأنه  
سَيَمَحِّقُهُ وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهُ مِنْ أَصْلِهِ ، ثُمَّ اسْمِعْ إِلَى قَوْلِهِ

(١) أخرجه مسلم ، وأحمد ، وأبو داود .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٣٩ .



تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ  
وَإِنْ تُبَتِّمُوا فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ  
وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٩) .

يا للهول! حربٌ من الله ورسوله ، حربٌ تواجهها  
النفس البشرية ، حربٌ رهيبَةٌ معروفة المصير ، مقررة  
العاقبة ، فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة  
الجبَّارة الساحقة الماحقة؟! لقد أمر رسول الله ﷺ  
عامله على مكة بعد نزول هذه الآيات التي نزلت  
متأخرةً أن يحارب آل المغيرة هناك ، إذا لم يكفوا عن  
التعامل الربوي ، فكلُّ وليٍّ أمرٍ مُكَلَّفٌ أن يحارب  
الذين يُصِرُّونَ على قاعدة النظام الربوي ، ويعتون  
عن أمر الله ، ولو أعلنوا أنَّهم مُسلمُونَ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٩ .

إِنَّهَا حَرْبٌ أَعْلَنَهَا الْقَوِيُّ الْمُتَيْنِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ  
 سَمَاوَاتٍ مُعَاشِرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى كُلِّ مُجْتَمَعٍ يُجْعَلُ  
 الرِّبَا قَاعِدَةً لِنِظَامِهِ الْاِقْتِصَادِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ ، هَذِهِ  
 الْحَرْبُ مُعْلَنَةٌ فِي صُورَتِهَا الشَّامِلَةِ الدَّاهِمَةِ الْغَامِرَةِ ،  
 وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْأَعْصَابِ وَالْقُلُوبِ ، وَحَرْبٌ عَلَى  
 الْبَرَكَةِ وَالرِّخَاءِ ، وَحَرْبٌ عَلَى السَّعَادَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ،  
 حَرْبٌ يَسْلُطُ اللَّهُ فِيهَا بَعْضُ الْعَصَاةِ لِنِظَامِهِ وَمُنْهَجِهِ  
 عَلَى بَعْضٍ ، حَرْبُ الْمَطَارِدَةِ وَالْمَشَاكَسَةِ ، حَرْبُ  
 الْغَبْنِ وَالظُّلْمِ ، حَرْبُ الْقَلْقِ وَالْخَوْفِ ، وَأَخِيرًا حَرْبُ  
 السَّلَاحِ السَّاحِقَةِ بَيْنَ الْأُمَمِ وَالْجِيُوشِ وَالْدُولِ ؛ إِنَّ  
 جَرَائِمَ الرِّبَا كَثِيرَةً ، وَاسْتِحْقَاقَاتِ عِقُوبَاتِهَا لَا يُمْكِنُ  
 التَّنْبُؤُ بِهَا .

إنَّ قيام النظام الاقتصادي على الأساس الربوي يجعل العلاقة بين أصحاب الأموال وبين العاملين في التجارة والصناعة علاقة مقامرة ومشاكسة ، فإنَّ المرابي يجتهد في الحصول على أكبر فائدةٍ ، ومن ثمَّ يمسك المال حتى يزيد اضطراب التجارة والصناعة إليه ، فيرتفع سعر الفائدة ؛ ويظل يرفع السعر حتى يجد العاملون في التجارة والصناعة والمستهلكون أنَّه لا فائدة لهم من استخدام هذا المال ؛ لأنَّه لا يُدرُّ عليهم ما يوفون به الفائدة ويفضل لهم منه شيء ، عندئذٍ ينكمش حجم المال المستخدم في هذه المجالات ، التي تشتغل فيها الملايين ؛ وتضيق المصانع دائرة إنتاجها ، ويتعطل العمَّال ، فتقل القدرة على الشراء ، وعندما يصل الأمر

إلى هذا الحد ، ويجد المرابون أنَّ الطلب على المال قد نقص أو توقف ، يعودون إلى خفض سعر الفائدة اضطراباً ، فيقبل عليه المستهلكون مرةً أخرى ، وتعود دورة الحياة إلى الرخاء ، وهكذا دَوَّالَيْكَ تَقَعُ الْأَزْمَاتُ الاقتصادية الدورية العالمية ، ويظل البشر هكذا يدورون فيها كالسائمة .

ثُمَّ إِنَّ جَمِيعَ الْمُسْتَهِلِّينَ يُؤْذُونَ ضَرِيَّةً غَيْرَ مُبَاشِرَةً لِلْمُرَابِينَ ، فَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّنَاعَاتِ وَالتَّجَارِ لَا يَدْفَعُونَ فَائِدَةَ الْأَمْوَالِ الَّتِي يَقْتَرِضُونَهَا بِالرِّبَا إِلَّا مِنْ جُيُوبِ الْمُسْتَهِلِّينَ ، فَهُمْ يُزِيدُونَهَا فِي أَثْمَانِ السِّلَعِ الْاسْتِهْلَاكِيَّةِ ، فَيَتَوَزَّعُ عِبْؤُهَا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ؛ لَتَدْخُلَ فِي جُيُوبِ الْمُرَابِينَ فِي النَّهَائَةِ .

فيا ليت بني قومي يفقهون ، ويا ليت مَنْ بيدهم  
صنع القرار ، ونفاذ الرأي يقرؤون ما بين السطور  
، إِنَّهَا فِتْنَةٌ عَامَّةٌ إِنْ لَمْ يَنْتَبِهْ لَهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَخُطَّةٌ  
مُحْكَمَةٌ دَبَّرَهَا وَأَعَدَّهَا الْمَاكِرُونَ ، فإِدَارَةُ الدَّفَّةِ لَيْسَتْ  
بِأَيْدِيكُمْ ، لَكِنَّا نَمْلِكُ مُقَوِّمَاتِ إِدَارَةِ الدَّفَّةِ ، فَلْنَعْمَلْ  
عَلَى مُقَاطَعَتِهَا .

١- بادروا بسحب ودائعكم البنكية ، واستثماراتكم  
المصرفية في السوق المالي وسوق الأسهم ، إعلانا  
للتوبة وتجرداً لفَهْمِ الْمُؤَامَرَةِ .

٢- استثمروا أموالكم ومدخراتكم في مشاريع يعود  
نفعها لدعم المقومات الأساسية لبناء أمة حديثة  
صالحة لقانون الاستخلاف ، كإحياء برامج

خدمة المجتمع ، وبرامج دعم المشاريع المتوسطة والصغيرة .

٣- وَثَّقُوا عِلَاقَاتِكُمْ بِالتَّدْبِيرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَمِنْ خِلَالِهِمَا يُمْكِنُ لِأَيِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُحْيِيَ مَشْرُوعًا نَافِعًا نَاجِحًا مُوَفَّقًا ، يَخْدُمُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَأُمَّتَهُ وَمُجْتَمَعَهُ .

٤- أَعْلَنُوا الْبِرَاءَةَ وَالتَّوْبَةَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ مَبِينٌ مِنَ الْبَرَامِجِ الدَّعَائِيَّةِ وَالْإِعْلَانَاتِ الْجَرِيئَةِ لِلتَّشْجِيعِ عَلَى الرِّبَا .

٥- تَفَقَّطُوا الْحِيلَ وَمَكْرَ الْمَصَارِفِ وَالْبُنُوكَ ، مِنْ خِلَالِ اغْتِرَائِهِمْ وَمُسَابَقَاتِهِمْ ، وَسَخَافَاتِ جَوَائِزِهِمْ وَهَدَايَاهُمْ .

٦- ضَرُورَةُ إدْرَاكٍ مَعْنَى أَنَّ النِّظَامَ الرِّبَوِي بِلَاءٌ عَلَى  
 الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ ، لَا فِي أَخْلَاقِهَا وَإِيمَانِهَا وَتَصَوُّرِهَا  
 لِلْحَيَاةِ فَحَسْبُ ، بَلْ كَذَلِكَ فِي صَمِيمِ حَيَاتِهَا  
 الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ ، وَأَنَّهُ أَبْشَعُ نِظَامٍ يَمْحَقُ  
 سَعَادَةَ الْبَشَرِيَّةِ مُحَقًّا ، وَيُعْطِلُ نُمُوَّهَا الْإِنْسَانِي  
 الْمَتَوَازِنَ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الطَّلَاءِ الظَّاهِرِيِّ الْخَدَّاعِ  
 الَّذِي يَبْدُو كَأَنَّهُ مُسَاعِدَةٌ مِنْ هَذَا النِّظَامِ لِلنَّمُو  
 الْاِقْتِصَادِيِّ الْعَامِ .

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ  
 وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ  
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥) (١) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٥ .

وصدق وَعِيدُ اللَّهِ وَوَعْدِهِ ، فَمَا نَحْنُ أَوْلَاءُ نَرَى أَنَّهُ  
 مَا مِنْ مَجْتَمَعٍ يَتَعَامَلُ بِالرَّبِّ ، ثُمَّ تَبْقَى فِيهِ بَرَكَةٌ ، أَوْ  
 رِخَاءٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ ، أَوْ أَمْنٌ ، أَوْ طُمَأْنِينَةٌ ، إِنَّ اللَّهَ يَمَحَقُ  
 الرِّبَا ، فَلَا يَفِيضُ عَلَى الْمَجْتَمَعِ الَّذِي يَوْجَدُ فِيهِ هَذَا  
 الدَّنَسُ إِلَّا الْقَحْطَ وَالشَّقَاءَ ، وَقَدْ تَرَى الْعَيْنُ فِي ظَاهِرِ  
 الْأَمْرِ رِخَاءً وَإِنْتِاجاً وَمَوَارِدَ مَوْفُورَةً ، وَلَكِنَّ الْبَرَكَاتِ  
 لَيْسَتْ بِضَخَامَةِ الْمَوَارِدِ بِقَدَرِ مَا هِيَ فِي الْإِسْتِمْتَاعِ  
 الطَّيِّبِ الْأَمْنِ بِهَذِهِ الْمَوَارِدِ ، وَقَدْ أَشْرْنَا مِنْ قَبْلِ إِلَى  
 الشَّقْوَةِ النَّكَدَةِ الَّتِي تَرِينُ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ فِي الدُّوَلِ  
 الْغَنِيَةِ الْغَزِيرَةِ الْمَوَارِدِ ، وَمِنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنْ  
 الْمُسْلِمِينَ الْمُضَادِّينَ لِشَرَعِ اللَّهِ ، وَإِلَى الْقَلَقِ النَّفْسِيِّ  
 الَّذِي لَا يَدْفَعُهُ الثَّرَاءُ بَلْ يَزِيدُهُ ، وَمِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ  
 يَفِيضُ الْقَلَقُ وَالذَّعْرُ وَالْاضْطِرَابُ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ ،



كما هو الحال اليوم . حيث تعيش البشرية في تهديدٍ دائمٍ بالحرب المبيدة ، كما تصحو وتنام في هم الحرب الباردة! وتثقل الحياة على أعصاب الناس يومًا بعد يومٍ سواء شعروا بهذا أم لم يشعروا ، ولا يبارك لهم في مالٍ ولا في عمرٍ ، ولا في صحةٍ ، ولا في طمأنينةٍ بال . نعوذ بالله العظيم من الخذلان والخزي والعار ، ونستجير به من الأخذ بسابق السنن وبما جرى من قبلُ على من سلف وكان .

واعلموا أيها المباركون : أنَّ اللَّهَ العلي الكبير ، هو المتصرف الأوحـد في شؤون الكون والخلق ، وأنَّ الرزق بيده وحده سبحانه ، وأنَّ كلَّ الوسائل العملية لا تكفي وحدها لنيل رزق اللَّه ، بل لا بدَّ من جمع الوسائل العملية المادية مع الطرق الشرعية التي حددها الإسلام

لسعة الرزق ؛ كي يكون الإنسان قد أدى ما هو مطلوبٌ منه شرعاً وأعذر نفسه بأنه قد بذل قصارى جهده في تحصيل الرزق وفق مراد الله تعالى .

إنَّ الكارِثَةَ التي يشهدها العالم اليوم ، هي ظاهرةٌ طبيعية ، وعقوبة حتمية ؛ لِمُفَارَقَةِ مَنْهَجِ اللَّهِ القوي المتين ، وتعزيزاً لغلبة ما يقضيه الله ويريدُه من أموره الشرعية والقدرية ، إنَّ العالمَ أجمع يشهد موجةً إلحادٍ عارمةً ، استغنت بقوتها وماديتها عن مرادات الله ، وتخلت عن محابّه ومراضيه ، وسلكت سبل الغواية والعماية الشيطانية ؛ للتنكب بعيداً عن منهج الله العزيز الحكيم . فاستغنت عن التوكل إلى الثقة بالقوة المجردة من كلّ معاني الفضيلة ، قوة الاقتصاد الذي لا يُقَهَرُ ،

وقوة الهيمنة العالمية ، وسلطوية ثقافة العولمة ، وحتمية  
اتجاه العالم نحو أحادية الرأسمالية ، فغدت الرسملة  
سراباً كاذباً ووهماً قاتلاً وكابوساً مهلكاً .

إنّ الأمم لما سقطت في حمأة الرذيلة ، ونشبت براثن  
القوة الشيطانية بها ، لجلجت وولولت ، وحاصت  
وباصت ، تنادي أين السبيلُ؟ وما هو المخرجُ؟!!

أقولُها رسالةً لكلّ العالم المنكوب اليوم ، الحل  
هو شريعة الرحمن ، إنّ التوكل من أجلّ السبل عند  
الخاصة وأعظمها قدراً ، وأنّه أعظم منازل الدّين ،  
ومقام من مقامات الموقنين ، بل هو من معالي  
درجات المقربين ، وهو من المأمور به قطعاً ، والمدعو  
للتعلق به جزماً وأمراً .

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ

مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١)

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (٢)

فأعظم بمقام موسومٍ صاحبه بمحبة الله تعالى ،  
ومضمونٌ بكفاية الله تعالى ملابسه ، فمن الله تعالى  
حسبه وكفايه ومحبه ومراعيه ، فقد فاز الفوز العظيم ،  
فإنَّ المحبوب لا يُعَذَّبُ ولا يُبْعَدُ ولا يُحْجَبُ ، ﴿ أَلَيْسَ  
اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ  
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣)

(١) سورة الملك ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٧٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣٦ .

فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل : هو  
 المكذب لهذه الآية ، فإنه سؤال في معرض الاستنطاق  
 بالحق ، ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ لَا دِينَ لَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
 فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

أي عزيز لا يذلُّ من استجار به ، ولا يُضَيِّع من لا ذ  
 بجنابه والتجأ إلى ذمامه وحماه ، وحكيم لا يُقَصِّر  
 عن تدبير من توكل على تدبيره .

إنه قد آن الأوان أن نعدَّ للمؤامرة ، التي حاكها  
 الأعداء ، وahan الوقت لنذكر مخاطر الرأسمالية  
 كما أدركنا من قبل فواجع الاشتراكية ، ولكن

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٩ .

متأخراً ، فما زالت الفرصة مواتية والأوبة قريبةً  
 منالَةً ، قبل فوات الأوان ، وما مضى لن يعود ، وما  
 خُسِرَ وفقد لن يُسترجع ، ولكن العزم والتوَكُّل ،  
 وتحقيق الثقة بالله العظيم ، وتَصَدِيقُ اللَّهِ في أفعاله  
 وسُنَنِهِ وأَيَّامِهِ ، وتَصَدِيقُ نَبِيِّهِ ﷺ في أخباره  
 وأقواله ، والعملُ على تحقيق التسليم والتفويض  
 لله تعالى والرضا بقضائه وقدره .

أخرج أبو داود عن ابن مسعودٍ رَضِيَ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ :  
 «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ  
 أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» .

نعم أيها المؤمنون ، إنه وقت المراجعة وتدقيق  
 الحسابات مع النفس فيما لله عليها من حُقوقٍ ، فَمَا

نَزَلَتْ مُصِيبَةٌ وَلَا حَلَّتْ بَلَايَا ، إِلَّا بَعْظَائِمَ وَجَرَائِمَ مِنَ  
الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، وَلَنْ يُخْرَجَ الْعَالَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ إِلَّا  
الْإِسْلَامَ ، وَالْيَكْمَ الْحُلُولَ وَمَنَافِذَ الرِّزْقِ إِيْمَانِيًّا :

أَوَّلًا : تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ  
لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ  
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ (١) .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «لَوْ  
عَمِلَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ لَوْسَعَتْهُمْ» (٢) .

إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ وَسِيلَةٌ لِّتَيْسِيرِ الْأُمُورِ ، وَلِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ

(١) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

التي تُنْقِصُ الرِّزْقَ ، وَتُذْهِبُ الْبَرَكَاتِ ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ٤ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ (١) .

ثانياً : تحقيقُ الثقةِ بما في يَدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وإنَّه لن يستطيع أحدٌ كائنٌ من كان أن يستجلب ما عند الله تعالى إلا برضاهُ وعِلْمِهِ ، «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ ، فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» .

ثالثاً : حسن الظنِّ باللهِ تعالى ، فاللهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ .

(١) سورة الطلاق ، الآيتان : ٤ ، ٥ .



رابعاً : الاستعفاف والقناعة ، ﴿وَلَيْسَتَعْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١) .

عن أبي سعيد الخدري رضي عنه عن النبي صلی الله علیه وسلم قَالَ : «مَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ ، وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ عِدْلٌ خَمْسَ أَوَاقٍ ، فَقَدْ سَأَلَ الْخَافَا» (٢) .

وعنه رضي عنه أيضاً أنه أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَراً مِنَ الْجُوعِ ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : إِيْتِ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم فَاسْأَلْهُ ، فَقَدْ آتَاهُ فُلَانٌ فَسَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ فَاتَيْتُهُ وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ : «مَنْ يَسْتَغْفِرُ

(١) سورة النور ، الآية : ٣٣ .

(٢) أخرجه النسائي ، والسيوطي في الجامع الصغير ، والهيثمي في مجمع الزوائد .

يُعِفُّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْأَلُنَا إِمَّا أَنْ  
 نَبْذُلَ لَهُ أَوْ نُوَاسِيَهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ عَنَّا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ  
 يَسْأَلُنَا . قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : فَرَجَعْتُ فَمَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا ، فَمَا  
 زَالَ اللَّهُ يَرْزُقُنَا حَتَّى مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَهْلَ  
 بَيْتٍ أَكْثَرَ أَمْوَالًا مِنَّا <sup>(١)</sup> .

خامساً : إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى ، عَنْ زَيْدِ بْنِ  
 ثَابِتٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : «مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا  
 هَمُّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،  
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ  
 نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ  
 الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ <sup>(٢)</sup> .

(١) مجمع الزوائد ، المهيثمى ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، ورواته ثقات ، والطبراني في الكبير .

سادساً : الاشتغال بالذِّكْرِ والدُّعَاءِ ، فهما السلاح النافذ ، والدواء الناجع ، عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم : «لَقَدْ كَانَ دُعَاءُ أَخِي يُونُسَ عَجَبًا : أَوَّلُهُ تَهْلِيلٌ ، وَأَوْسَطُهُ تَسْبِيحٌ ، وَآخِرُهُ إِفْرَارٌ بِالذَّنْبِ ، ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) ، مَا دَعَا بِهِ مَهْمُومٌ وَلَا مَغْمُومٌ وَلَا مَكْرُوبٌ وَلَا مَدْيُونٌ فِي يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ» (٢) .

وعن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : «مَنْ فُتِحَ لَهُ

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٧ .

(٢) أخرجه الديلمي في المسند .

مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ ، فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ، وَمَا سُئِلَ  
 اللَّهُ شَيْئًا - يَعْنِي : أَحَبَّ إِلَيْهِ - مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ ،  
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ  
 وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ» <sup>(١)</sup> .

وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ دَعْوَةٍ مُجَابَةٌ ، لَكِنْ ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ  
 مُوقِنُونَ بِإِجَابَتِهِ ، وَفَضْلُ اللَّهِ وَاسِعٌ .

سَابِعًا : أَكْثَرُوا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا  
 نَافِيَةٌ لِلْفَقْرِ ، مُدْخِلَةٌ لِلْبَرَكَةِ فِي الْبَيْتِ . عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ  
 اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ  
 قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ ، نَفَتْ الْفَقْرَ عَنْ  
 أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْجِيرَانِ» <sup>(٢)</sup> .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَالهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ،  
 وَهُوَ ضَعِيفٌ .

ثَامِنًا : اقْرَءُوا سُورَةَ الْوَاقِعَةِ وَعَلِّمُوهَا أَوْلَادَكُمْ  
وَأَزْوَاجَكُمْ ، فَإِنَّهَا تُسَمَّى بِسُورَةِ الْغِنَى ، فَمَنْ قَرَأَهَا  
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا<sup>(١)</sup> . فَهَلْ أَدْرَكْتُمْ مِنْ  
أَيْنَ أُوتِينَا ؟

تَاسِعًا : أَكْثَرُوا مِنَ التَّعَوُّذِ الْوَارِدِ فِي السُّنَّةِ مِنَ الْفَقْرِ  
وَالْهَمِّ وَالْكَرْبِ ، وَالزُّمُوا الْأَذْكَارَ وَالِدَّعَوَاتِ النَّبَوِيَّةِ ،  
احْفَظُوهَا وَتَعَاهَدُوهَا ، فَإِنَّهَا مُنْجِيَاتٌ مَبَارَكَاتٌ .

عَاشِرًا : أَكْثَرُوا مِنَ الاسْتِخَارَةِ قَبْلَ الْبَدْءِ فِي أَيِّ  
مَشْرُوعٍ ، أَوْ عَمَلٍ تِجَارِيٍّ ، أَوْ مُسَاهَمَةٍ ، وَاحْذَرُوا  
مُسَاهَمَاتِ الْمَصَارِفِ وَالْبُنُوكِ ، فَإِنَّهَا ضِغْثٌ عَلَى إِبَالَةٍ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ ، وَالْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ  
مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ .

الحادي عشر : إَحْفَظُوا هَذِهِ الْأَدْعِيَةَ ، فَإِنَّهَا

قَوَامُ الْحَيَاةِ ، وَتَرْيَاقُ الدَّاءِ :-

«مَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ إِذَا عَسَرَ عَلَيْهِ أَمْرٌ مَعِيشَتَهُ أَنْ يَقُولَ  
إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِسْمِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي وَمَالِي  
وَدِينِي ، اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا  
قُدِّرَ لِي حَتَّى لَا أَحِبُّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا تَأْخِيرَ  
مَا عَجَّلْتَ» (١) .

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ  
لِي فِي رِزْقِي» (٢) .

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ، وإسناده ضعيف .  
(٢) أخرجه النووي في الأذكار ، والشوكاني في تحفة الذاكرين ،  
والسيوطي في الجامع الصغير .

«اللَّهُمَّ اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سنّي  
وانقطاع عمري» (١) .

أكثرُوا من أدعية قضاء الديون ، وما أكثر من  
ابتلوا بالديون اليوم :

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ افتقد معاذاً يوم الجمعة فلمَّا صلى  
رسول الله ﷺ أتى مُعَاذًا ، فقال ﷺ : «يا  
معاذ ما لي لم أرك» ، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «يا رسول الله  
ليهودي عندي وقية من تبر فخرجتُ إليك فحبسني  
عنك» ، فقال له رسول الله ﷺ : «يا معاذ ألا  
أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين أمثال

(١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أخرجه السيوطي في الجامع الصغير  
والهيثمى في مجمع الزوائد ، وإسنادهما حسن .

الجبّال قضاءه اللّهُ» ، قُلْتُ بَلَى ، قال ﷺ : «فادع اللّهُ يا مُعَاذُ وَقُلْ : «اللّهُمَّ مالِكُ الملكِ تُؤْتِي الملكَ من تشاء وتنزع الملكَ ممن تشاء وتعزّزُ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ ، تولج الليل في النّهار ، وتولج النّهار في الليل ، وتخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب ؛ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، تعطي منهما من تشاء وتمنع من تشاء ، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك» . وفي زيادة في آخره : «اللهم أغنني من الفقر واقض عني الدين وتوفني في عبادتك وجهاد في سبيلك» (١) .

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، والسيوطي في الجامع الصغير ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، والشوكاني في الفوائد المجموعة .



«اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك  
عمّن سواك» (١) .

أكثرُوا من الاستغفار ، فإنه سببٌ رئيسٌ في زيادة  
الرزق ، ونماء الأموال ، «مَنْ لَزِمَ الاستغفار ، جعل  
اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجاً ، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً ،  
ورزقه من حيث لا يحتسب» (٢) .

(١) أخرجه أحمد ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، وابن حجر في  
الفتوحات الربانية ، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ أتى  
عليّاً رضي الله عنه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين إني عجزت عن مكاتبتني  
فأعني فقال عليٌّ رضي الله عنه : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول  
الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صبر دنائير لأداه الله عنك  
قُلْتُ : بلى قال : قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني  
بفضلك عمّن سواك .

(٢) من حديث عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه ، أخرجه أبو داود ،  
والبخاري في شرح السنة ، والمنذري في الترغيب والترهيب ،  
وسنده حسن .

«ومن أنعم عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ  
الرزق فليستغفر الله ، و من حزنه أمر فليقل : لا  
حول و لا قوة إلا بالله» (١) .

أكثرُوا من قول : لا حول و لا قوة إلا بالله ، فمن  
كثرت ذنوبه ، فليستغفر الله ، ومن أبطأ رزقه ،  
فليكثر من لا حول و لا قوة إلا بالله .

أدِيمُوا على ألسنتكم الثناء على الله بالحمد والذكر  
بالجميل . أحسنُوا جوار نعم الله لا تنفروها ، فقلما  
زالت عن قوم فعادت إليهم . نعم قيدوا النعم بالشكر  
والحمد .

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير من حديث علي بن أبي  
طالب عليه السلام ، والحديث سنده حسن .

رطبوا ألسنتكم وطبوها بكثرة الصلاة على النبي ﷺ ،  
فإنها كفاية هم ، وسبب لمغفرة الذنوب .

كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام  
فقال : «يا أيها الناس اذكروا الله .. اذكروا الله ؛  
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ،  
جاء الموت بما فيه .

قال أبي بن كعب رضي عنه : قلت يا رسول الله  
إنني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من  
صلاتي فقال ﷺ : «ما شئت» . قال : قلت :  
الربع . قال ﷺ : «ما شئت» ، فإن زدت فهو  
خير لك» . قلت : النصف قال ﷺ : «ما شئت  
فإن زدت فهو خير لك» . قال : قلت : فالثلثين .

قال ﷺ : «ما شئت ، فإن زدتَ فهو خير لك» .  
 قلت : أجعل لك صلاتي كلها . قال ﷺ : «إذا  
 تُكفى همّك ، ويُغفر لك ذنبك» <sup>(١)</sup> .

احرصوا على صلاة الفجر في جماعة ، فإنّها مشهودةٌ  
 مباركةٌ ، يوضع للعبد القبول والخير بعد منقلبه منها .  
 أكثرُوا من النفقة في أوجه الخير ، فما أنفقتم من  
 شيءٍ فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

صلوا أرحامكم ، وتعاهدوا أقاربكم ، فإنّها سببٌ  
 لبسط الرزق ، والبركة في الأثر ، والزيادة في العمر .  
 أحسنوا إلى الناس ما استطعتم ، وقولوا لهم حسناً .

---

(١) أخرجه الترمذي ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، وسنده  
 حسن صحيح .

حَسَّنُوا أَخْلَاقَكُمْ ، وَطَيَّبُوا كَلَامَكُمْ ، وَأَرْفَقُوا ،  
بِإِخْوَانِكُمْ ، وَتَعَاَفَوْا فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَسَامَحُوا وَاعْفَوْا ،  
وَعَاَشَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، فَكُلُّهَا زِيَادَةٌ فِي الرِّزْقِ وَاسْتِجْلَابٌ  
لِلْخَيْرِ .

وَإِنَّ مَا يَعِينُ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ عَلَى الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ النِّظَامِ  
الرَّأْسِمَالِيِّ الْمُلْحَدِ الْيَوْمَ ، وَالتَّحَلُّلِ مِنْ هَيْمَنَةِ النِّظَامِ  
الْعَالَمِيِّ الْبَغِيضِ ، هُوَ الْعَوْدَةُ إِلَى الْعِلْمِ بِطَرَفِيهِ الشَّرْعِيِّ  
وَالدُّنْيَوِيِّ ، إِنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ أُتِيحَتْ لِلْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ  
بَأَن يَهْبُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ ، بِمُؤْشِرَاتِ سَقُوطِ النِّظَامِ  
الرَّأْسِمَالِيِّ الْعَالَمِيِّ ، فَمَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَن يَحْسِنُوا اخْتِيَارَ  
اسْتِغْلَالِ الْفُرْصَةِ شَعُوباً وَحُكُومَاتَ ، وَمَا يُمْكِّنُ لَهُمْ  
ذَلِكَ الْوَسَائِلُ التَّالِيَةُ :

أولاً : إحياء سنّة الوقف المهجورة ، وتطوير قوانينها ونظمها وفق برنامج استثماري عالمي ، ليس هذا مجال شرحه وتفصيله .

ثانياً : تعزيز الشراكات الأسرية من خلال تكوين شركات على مستوى الأسرة ، تعنى بأهداف الأسرة واستغنائها عن الممول الخارجي والأجنبي ، وتحقيق الكفائية الذاتية على مستوى الأسرة ، وهكذا كل أسرة في المجتمع المسلم .

ثالثاً : الاهتمام الجماعي بالاستصناع الصغير والمتوسط ، ورعاية الأفكار والأطروحات الحديثة ، والاستفادة منها ، ومتابعة الدراسات حول الصناعات المهنية والشعبية والفنية .

رابعاً : الاهتمام باستصلاح الأراضي والزراعة .

خامساً : إحياء المهن القديمة وتفعيلها وتطويرها .

سادساً : توظيف الأموال الفردية في بناء شركات قوية منافسة في الأسواق العالمية ، بقدرات مسلمة ، وأموال مسلمة ، ومنافذ إسلامية ، وأطروحات إسلامية .

سابعاً : استغلال التقنيات ووسائل التطور الحديث في جميع مجالات التجارة .

ثامناً : مراعاة الأولويات في توظيف الأموال حسب الاحتياج العام ، والقدرة التسويقية للمنتج ، ومراعاة الأذواق العامة .

تاسعاً : العمل على تفعيل البدائل الإسلامية المطروحة ، سواء في التمويل ، أو في المتاجرة ، أو في توظيف الأموال .

عاشراً : دفع الجشع والطمع ، والرضا بالأرباح اليسيرة القليلة ، فإنّها مباركة .

الحادي عشر : الانطلاق لأي مشروع تجاري ، لا يتم إلا وفق مشورات ومراجعات ، وإعداد دراسات جدوى من قبل المختصين والمهتمين .

الثاني عشر : العمل فيما يتقنه المرء ، وإياكم بالمزاحمة فيما لا يحسنه الإنسان .

الثالث عشر : مراعاة التدرج في بناء أي مشروع تجاري ، فإنه يبدأ صغيراً وينتهي كبيراً بإذن الله تعالى .

الرابع عشر : مراعاة تنويع الاستثمارات ، حفاظاً على رأس المال .



الخامس عشر : لا تجازفوا بأكبر من رؤوس أموالكم ، وهذا ما أودى بأموال الناس في سوق الأسهم وغيرها .

السادس عشر : الاهتمام بالدعاية الهادفة الصادقة الواقعية .

السابع عشر : عدم الالتفات عن رزقٍ فُتِحَ للعبد فيه ، ولا يغيره إلى غيره ، فَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا أَدْبَرَتْ قَلَّمَا تُقْبَلُ ، فعن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِذَا سَبَبَ اللَّهُ لِأَحَدِكُمْ رِزْقًا مِنْ وَجْهِهِ ، فَلَا يَدَعُهُ حَتَّى يَتَغَيَّرَ لَهُ أَوْ يَتَنَكَّرَ لَهُ» (١) .

(١) أخرجه البيهقي في السنن ، وابن ماجه في سننه .

الثامن عشر : وظفوا الفشل ، فقد يصاب الإنسان أحياناً بخيبة أمل ، أو كارثة ، أو مصيبة ، ولكن عليه ألاّ ييأس ويستسلم . في القرن الثامن عشر ، فشل المزارع آرثر يونغ أكثر من أربع مرات في مشاريعه الزراعية ، فتوقف عن مشاريعه الفاشلة ، وراح يبحث عن فكرة أفضل ، فما كان منه إلاّ أن ألّف كتاباً بعنوان «كَيْفَ تَزْرَعُ» ، وقد أصبح ثرياً نتيجة الإقبال الشديد على شراء هذا الكتاب ، كما حقّق شهرةً واسعةً كان من نتيجتها أنّه صار فيما بعد وزيراً للزراعة .

التاسع عشر : ضرورة الاستقلال المالي ، وعدم التبعية للوظائف والركون لها .

## التَّجَارَةُ فِي الْإِسْلَامِ

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣)

(١) سورة الملك، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الفرقان، الآية : ٢٠ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٧٢ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٢٦٧) .

إنَّ الشرع المطهر يرشد إلى ضرورة الاستقلال المالي ويندب إلى التكسب والارتفاق في المعيشة عن طريق الضرب في الأرض والسعي في مناكبها وإتباع الهدى النبوي في التجارة والتزود من طيبات ما أحل الله تعالى لعباده .

تعتبر التجارة من أساسيات الحياة بين الناس ولقد سميت أحياناً في القرآن بالبيع مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٦٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٧٥ .

و قول رسول الله ﷺ : «تسعة أعشار الرزق في التجارة ، والعشر في المواشي» <sup>(١)</sup> .

وفي رواية أخرى : «تسعة أعشار رزق أمتي في البيع والشراء» . وقد أخبر سبحانه أن الأنبياء كانت لهم تجارات وصناعات .

قال ابن القيم : «إن النبي ﷺ باع واشترى وشراؤه أكثر ، وآجر واستأجر وإيجاره أكثر ، وضارب وشارك ووكل وتوكل وتوكيله أكثر .

بل إن النصف من العشرة المبشرين بالجنة كانوا تجاراً وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ، والحديث مرسل حسن .

عوف رضي الله عنه ، وهم من هم في الجلالة والقدر ، ومع ذلك فقد كانوا من أمهر وأغنى التجار ، فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب بأنه كان للزبير رضي الله عنه ألف مملوك يؤدون إليه الخراج . وعثمان رضي الله عنه جهز جيش العُسرة بأكمله ، واشترى بئر رومة للمسلمين والأمثلة على ذلك كثيرة .

فطلب الرزق والتكسب واجب وفريضة ، وهو الكسب بقدر الكفاية للنفس و العيال و قضاء الدين ، ويستحب الزيادة على أدنى الكفاية ليواسي به فقيراً أو يجازي به قريباً .

وقد وردت في التجارة والتجار عدة أحاديث ، منها : عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ

اللَّهُ ﷻ : «التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «أوصيكم بالتجار خيراً فإنهم بُرْدُ الْآفَاقِ وَأَمْنَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» .

والإسلام كما هو معلوم لم يبح التجارة مطلقاً ، بل جعل لها ضوابط وحدها بحدود حتى يحمي المجتمع من الانحراف ، وليس هذا فحسب ، بل فرض على الأغنياء زكاة تُؤَدَّى إِلَى الْفُقَرَاءِ حَتَّى تَطِيبَ نَفُوسُ الْفُقَرَاءِ ، وَ لَا يَنْتَشِرَ الْحَسَدُ وَالْبَغْضُ فِي الْمَجْتَمَعِ .

ومن التجارة ما هو مذموم ، وهي التجارة التي

(١) أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، والسيوطي في الجامع الصغير ، وإسناده حسن .

تشغل عن أمور الدين وتحمل الإنسان على الإقبال  
والانهماك في الدنيا ، وعلى هذا يُحْمَلُ قَوْلُهُ ﷺ :  
«التَّجَّارُ هُمُ الْفُجَّارُ» (١) .

أي التجار الذين ينشغلون عن أمور دينهم بالتجارة .  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَا مَأْ لِهَؤُلَاءِ : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا  
أَنفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ  
وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ (١١) (٢) .

فالتجارة تتسبب بالربح الذي به نستطيع أن نستقل  
مالياً وبنبي مجتمعاً عفيفاً ذا يدٍ عُلْيَا ، وَنَفْسٍ أَيْيَةٍ .  
وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَسْهَمَ فِي الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ مِنْ بِنَاءِ  
المساجد والمرافق والمدارس ، والأربطة والمستشفيات

(١) أخرجه البخاري ، والهيثمى في مجمع الزوائد .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ١١ .



الخيرية ، وغير ذلك من مشاريع تحتاجها الأمة وتفتقر إليها المجتمعات المسلمة اليوم .

التجارة تُمَكِّنُ الْمُسْلِمَ من الاحتكاك بسائر المجتمعات ، مما يؤدي إلى انتشار الإسلام بين الناس إذا تحققت أخلاق الإسلام السامية لدى التجار ، ومن هنا يجدر التنبيه بأنه يجب على التاجر أن يتحلى بأسمى الأخلاق كي يؤثر ذلك في غير المسلمين تأثيراً إيجابياً ، وهل فُتحت بلاد جنوب شرق آسيا ودخل فيها الإسلام إلاَّ بحُسن أخلاق تجار المسلمين بعد توفيق الله؟ ولتذكر كل من تاجرَ أو من امتهن البيع والشراء قول النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّاراً إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَ وَصَدَقَ» (١) .

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد .

إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَكْرَهُ التِّجَارَةَ ، فَإِنَّهَا وَسِيلَةٌ مِنْ  
 وَسَائِلِ الْكَسْبِ الْمَشْرُوعِ ، حَتَّى أَنَّ الْقُرْآنَ يُطْلَقُ  
 عَلَيْهَا وَصْفًا جَمِيلًا ، يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ حَكِيمًا :  
 ﴿وَأَخْرُوجُونَ يَصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ  
 اللَّهِ﴾ <sup>(١)</sup> . فَسُمِيَ طَلَبُ الرِّزْقِ عَنْ طَرِيقِ التِّجَارَةِ  
 ابْتِغَاءً مِنْ فَضْلِ اللَّهِ .

وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ  
 تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَهَذِهِ الْآيَةُ  
 نَزَلَتْ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ ، أَيَّ حَتَّى فِي أَثْنَاءِ الْحَجِّ يَجُوزُ  
 لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَبِيعَ وَيَشْتَرِيَ ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَحَرَّجُونَ  
 مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ نَزُولِ الْآيَةِ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْآيَةُ رَفَعَتْ عَنْهُمْ

(١) سُورَةُ الْمَزْمَلِ ، الْآيَةُ : ٢٠ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، الْآيَةُ : ١٩٨ .

الحرج ، وأباحَت لهم التجارة في هذا الموسم العظيم .

ويقول تعالى في شأن صلاة الجمعة : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ  
الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ  
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه : «ليس هناك مكان أحب  
أن يأتيني الموت فيه بعد الجهاد في سبيل الله ، إلاَّ  
أن أكون في سوق أبيع وأشتري من أجل عيالي» ،  
وأخذ هذا من قول الله تعالى : ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ  
فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢) .

(١) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة المزمل ، الآية : ٢٠ .

لقد امتنَّ اللهُ على قريش أن كانت لهم تجارة في الشتاء والصيف يرحلون من أجلها إلى الشام واليمن ، يقولُ عزَّ وجلَّ : ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ ۝١ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ (٢) .

ومَّا يجب التنبيه إليه أنه لا يجوز للتاجر أن يتاجر حتى يتعلم أحكام الله في التجارة ، وهذا بإجماع

(١) سورة قريش ، الآيات : ١ - ٤ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٥٧ .

الفقهاء كما نقل ذلك الشافعي في رسالته والغزالي في الإحياء ، ويجب أن يتخلق التاجر المؤمن بمجموعة من القيم الإيمانية والأخلاقية والسلوكية الطيبة بالإضافة إلى الحنكة والبصيرة والتفقه في أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، وعلى الأخص فقه المعاملات وفقه البيوع .

وهناك أساسيات يجب أن يفقهها المتعاملون في الأسواق من أهمها : أركان وشروط البيع الصحيح ، والبيوع الجائزة شرعاً والمنهي عنها شرعاً ، والبيوع التي تثار حولها شبهات ، وهذا يعتبر فرض عين على كل تاجر ، ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في الأسواق ويضرب التجار بالدرة ويقول : « لا يَبِعُ فِي سُوقِنَا مَنْ لَا يَفْقَهُ ، وَإِلَّا أَكَلَ الرَّبَّاءُ رَضِيَّ أَمْ أَبِي » .

فإذا لا بد للتاجر أن يتعلم فقه التجارة وأحكامها الإسلامية قبل أن يعمل حتى لا يقع في الحرام من حيث لا يعلم ، والعلم في هذا الزمان قريبٌ وميسرٌ ولله الحمد .

ولا شك بأن التجارة مصدر من مصادر القوة لدى المسلمين ، فنعم المال الصالح بيد الرجل الصالح ، وذكر الرسول ﷺ منهم : «الْمُنْفِقُ سَلَعْتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ» (١) .  
وقد جاء في حديث آخر عن التجار : «إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ ، وَيَحْلِفُونَ فَيَأْثُمُونَ» (٢) .

- (١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي ، ولفظه : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منة . والمنفق سلعته بالحلف الفاجر . والمسبل إزاره» . وفي رواية : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» .
- (٢) أخرجه ابن جرير الطبري في مسند علي عن عبد الرحمن بن شبل ، بلفظ : «إن التجار هم الضجار فقال رجل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع قال بلى ولكنهم يحدثون فيكذبون ويحلفون فيأثمون» ، وإسناده صحيح .

وجاء في حديث آخر أنه : «جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ يَبِيعُ بِيَمِينِهِ ، وَيَشْتَرِي بِيَمِينِهِ» (١) .

فهذا الذي يتاجر باسم الله ، ولا يتورع أن يجعله بضاعة يحلف به كاذباً ويغلظ الإيمان في كل بيع وفي كل شراء . يرتكب إثماً عظيماً ، ولا ينظرُ الله إليه يوم القيامة ، ولا ينال شيئاً من رحمته تعالى . إِنَّ اسْمَ اللَّهِ يَنْبَغِي أَنْ يُجَلََّ وَيُقَدَّسَ وَلَا يُتَدَلَّ ، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) .

(١) أخرج السيوطي في البدور السافرة وفي الجامع الصغير ، والهيتمي في مجمع الزوائد ، والهيتمي في الزواجر ، والمنذري في الترغيب والترهيب ، بلفظ : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه» ، وإسناده صحيح .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٤ .

فما بالك إذا استعمله التاجر في الحلف الكاذب؟  
 وقصده من ذلك ترويج بضاعته ولو بالغش والخداع  
 والباطل . هذه آفة التجارة ؛ أن لا يبالي التاجر إلاّ  
 بالكسبِ حَلَالاً كَانَ أَمْ حَرَاماً . فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ  
 اندَرَجَ تَحْتَ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ آنِفاً ، فَكَانَ مِنَ  
 الْفُجَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

ومن صُورِ البُيُوعِ المنهي عنها في الشرع ويغفل  
 عنها كثيرٌ من النَّاسِ ما يلي :

١ - بيع ما يحرم شرعاً كالخمر ولحم الخنزير ، وما  
 يُعلم ضرره وخبثه كالدخان وما في حكمه فإنَّ كسب  
 كلِّ ذلك محرّماً .



٢ - بيع التاجر مالا يملك عينا أو حُكْمًا ، وهذا  
 يكثرُ صُورُهُ في المَصَارِفِ وَمَتَاجِرِ البَيْعِ بالتَّقْسِيطِ ،  
 وهو ما يُسَمَّى في أيامنا بِبَيْعِ المُرَابَحَةِ وَالتَّمْوِيلِ . وإِنَّمَا  
 تبنى أصول المعاملات على المواعدة والإيفاء بها .  
 وتكون صور البيع من الطرف الثاني لطرف ثالث في  
 الغالب قبل الحيازة ، وقد نهى النَّبِيُّ ﷺ عن بَيْعِ  
 الشَّيْءِ قَبْلَ حِيازَتِهِ» (١) .

٣ - إدارة التداول لعقود المrabحات بالبيع بالتقسيط  
 أو التورق في الغالب على منتجٍ واحدٍ تُجرى عليه كلُّ  
 المعاملات للمرابحة ، وهو من وسائل الخداع والغش  
 والتدليس ، وهو من صور بيع الربا .

(١) أخرجه ....، وهذا ما يحصل بعينه في سوق الأسهم كثيراً جداً .

٤ - صور التعامل بطريقة التورق المتفق عليه بين الطرفين ، مع العلم من الطرف الأول الممول بأن قصد الطرف الثاني هو المال فقط لا السلعة ، وهذا من صور بيع الربا ؛ لأنه في الغالب غير مقدور على تسليم السلعة ، وهي غير معلومة وَضْفاً وَحَالاً ، وَإِنَّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا الْمُعَامَلَةُ بِالِاتِّفَاقِ لِلْوُضُوعِ لِلْمَالِ ، أو تكون الصفقة على المتاجرة بسندات وهمية من سندات سوق الأسهم .

٥ - ومن الأمثلة المعاصرة المثيرة للجدل ، بطاقات الائتمان التي فيها سحب على المكشوف بمعنى أنه لا يكون ثمة رصيد عندك ، فهم يدينونك من مال البنك ، إِذَا سَحَبْتَ فِي حَالٍ لَمْ يَكُنْ رَصِيدُكَ فِيهِ شَيْءٌ ، أَوْ يَكُونُ

لَدَيْكَ رَصِيدٌ وَلَكِن السَّحْبَ لَا يَكُونُ مِنْ رَصِيدِكَ فَوْرًا  
وَأَمَّا مِنْ شَرَكَةِ الْفِيزَا بِالْتَّعَاوُنِ مَعَ الْبَنْكِ ، ثُمَّ إِذَا نَزَلَ  
رَاتِبُكَ ، أَوْ لَاحِقًا ، سَحَبُوا مِنْهُ مَا أَقْرَضُوكَ ، وَأَخَذُوا  
زِيَادَةً وَقَالُوا هَذِهِ عُمُولُهُ . وَهُوَ مَبْلَغٌ كَبِيرٌ انْتَفَعَ بِهِ الْبَنْكُ  
وَأَعْطَاكَ بَطَاقَةً يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَدِينَ بِهَا ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ  
النَّفْعِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الدَّيْنُ ، وَبِالتَّالِي تَكُونُ بَطَاقَةُ الْاِئْتِمَانِ  
الَّتِي تُمْكِنُ الْعَمِيلَ مِنَ السَّحْبِ عَلَى الْمَكْشُوفِ مُحَرَّمَةٌ .

٦ - وكذلك المداينة وهي تشبه العينة <sup>(١)</sup> ، ففي  
المداينة يدخل طرف ثالث ، فيشتري الأول من الثاني  
مؤجلاً ، ثم يبيعه لثالث حالا بثمن أقل . ومن ذلك  
العينة الثلاثية ، وهي منتشرة بين الناس ، ويتقدم بها

(١) العينة هي : أن يبيع شخص لآخر سلعة بأجل ، ثم يشتري  
نفس السلعة منه حالا بسعر أقل .

معاملةً مع البنوك كوسيط وطرف ثالث ، مثل أن يذهب اثنان للبنك فيتظاهرا بأن أحدهما باع الآخر سيارة ، ثم ترد لصاحبها ، ويأخذ قيمة الشيك ممن تظاهر أنه باع السيارة على البنك الإسلامي ، ويبقى على المشتري الأقساط التي هي أكثر من النقد الذي استلمه .

٧ - الاحتكار، وهو حرام . فالنبي ﷺ يَقُولُ : «لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ» <sup>(١)</sup> . وهذا يتناول كل بضاعة أو سلعة يحتاج إليها المسلمون ، من قوت أو غير قوت .

٨ - ألا يغلي الأسعار على المسلمين ، بأن يستغل

(١) سبق تخريجه .

حاجة المسلمين إلى السلعة فيرفع ثمنها عليهم ، ليربح أرباحاً فاحشةً أكثر مما يَجُوزُ .

وكلُّ ذلك سببه جشع بعض التجار نظراً للزيادة الواردة على رواتب الموظفين بلا مبرر ولا سبب لرفع السعر سوى الجشع والرغبة في الإثراء السريع من غير طريقه الصحيح .

إن رفع الأسعار على المسلمين بهذه الطريقة يعتبر جريمة ؛ لأنَّه يسبب ضيق الحياة على الناس ، وكثير من الناس دخلهم ضئيل وأحوالهم المعيشية سيئة ، ولهذا روى معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله وهو في مرض موته ، حيث قال للنَّاس من حوله : «أَجْلِسُونِي حَتَّى أُحَدِّثْكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله»

فَاجْلَسُوهُ فَقَالَ ﷺ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعِظَمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . فَقِيلَ لَهُ : أَسَمِعْتَ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ <sup>(١)</sup> . وَقَدْ كَرَّرَ ذَلِكَ ﷺ مُرَارًا لِعِظَمِ خَطَرِ هَذَا الْأَمْرِ ؛ لِيَقْنَعَ التَّجَارُ بِالْكَسْبِ الْمَعْقُولِ .

(١) سبق تخريجه .

## الْوَقْفُ فِي الْإِسْلَامِ (١)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا  
 كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا  
 تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا  
 أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾  
 الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ  
 وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
 عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

الْآخِرِ وَالْمَلَكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴿١﴾ .

إِنَّ ديننا الحنيف شرعة متكاملة ومنهج سديد صالح لكل زمانٍ ومكانٍ ، وفيه النفع لكل إنسان في حياته وبعد مماته ، فقد ندب الله تعالى عباده إلى فعل الطاعات والقيام بالمأمورات في أثناء حياتهم حتى يفوزوا برضا الله تعالى والجنة ، كما شرع لهم من أعمال البر والصلة ما يزيد في حسناتهم ويضاعف مشوبتهم حتى بعد موتهم . وقد دلّ على ذلك حديث النبي ﷺ : «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .



ثَلَاثَةٌ : صَدَقَةٌ جَارِيَّةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ  
يَدْعُو لَهُ» (١) .

ومن أهم الأعمال التي تجري الحسنات على المسلم  
بعد موته الصدقات بعمومها ، والتي منها الوقف بنمطه  
المميز ، الذي يتيح الإفادة من المنفعة ، مع بقاء الأصل  
المؤدّي لاستمرار العطاء ، وتواصل البذل والمعروف ،  
وهو وإن عرف قبل الإسلام ، إلا أنه اقتصر آنذاك على  
دور العبادة وما يتعلق بها ، أمّا في الإسلام فقد جاء  
شاملاً لكل عمل خير وبر ، فتنوعت الأوقاف ، بحسب  
الحوائج الناشئة في المجتمع ، وأدى دوراً رئيساً في نشر  
التربية والتعليم ، والتقدم العلمي ، وكان السبب الرئيس

(١) أخرجه مسلم .

لأغلب الإنجازات العلمية والحضارية في تاريخ الإسلام  
وكان لمؤسساته أثرها الفعال في عملية التطور والنمو  
الاقتصادي في مختلف عصور الإسلام .

كما أنه أسهم بما كان له من مؤسسات خيرية ،  
وأنظمة متكاملة في إيجاد ما يسمّى في العصر الحديث  
(المجتمع المدني) ، قبل أن تعرفه التجربة الأوروبية ،  
ونھض بدور اجتماعي ، واقتصادي ، وثقافي ، كان له  
أثره في تكييف الأجهزة المسؤولة في الدولة ، وتخفيف  
الوطأة إلى حدٍ بعيدٍ على الميزانية العمومية ، فأمدّ  
المؤسسات الاجتماعية بالموارد المالية التي تعينها على  
أداء رسالتها الإنسانية النبيلة ، بحيث تحقق أهدافها  
المباشرة ، وتحقق بها التنمية الاقتصادية ، إذ هي نتيجة  
غير مباشرة لكلِّ هدفٍ اجتماعيٍّ أقيم له وقفٌ .

لقد كانت الأوقاف حجر الأساس الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية التي ظهرت في ديار المسلمين ، فقد كانوا يحدثون وقفاً لكل مشروع يقيمونه ؛ لينفق عليه من دخله ، ويكون ضماناً لاستمرار تشغيله ، ولذلك فإنّ هذه المنشآت تقوم بدورها في المجتمع ، بغض النظر عمّا يحصل لمن أوقفها من طوارئ الزمان ، أو انصراف عن المشروع إلى سواه <sup>(١)</sup> .

وفي الحديث المتقدم دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ قاطعٌ على أهمية الوقف وعظم فائدته ؛ لما له من مصالح تعود على الفرد والمجتمع ، وذلك لأنّ الدين الإسلامي

---

(١) انظر محاضرات في الوقف، محمّد أبو زهرة، الوقف في الفقه الإسلامي، حسن عبدالله الأمين، الوقف مكانته وأهميته الحضارية، عبدالله حمد العويسي .

دينٌ متكاملٌ ، فيه التكافل والترابط والحث على  
التواصل والعطف والرحمة ، أخرج مسلمٌ عن أبي  
أمامة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله : «يَا ابْنَ  
آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبَدَّلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تُمْسِكَ شَرٌّ  
لَكَ ، وَلَا تَلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ  
الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى» (١) .

وقوله صلّى الله عليه وآله : «مَنْ اخْتَبَسَ (٢) فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسَنَاتٌ» (٣) .

وَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله إِلَى الْمَدِينَةِ ، لَمْ يَكُنْ

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أي : وَقَفَ .

(٣) أخرجه البخاري ، والنسائي ، والهيثمي في مجمع الزوائد .

بها ماء يُستعذب غير بئر رومة ، وكانت لرجلٍ من بني غِفَار ، وكان يُغالي في بيع الماء منها ، فقال النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟» فاشتراها عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ عَنْهُ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فقال له النَّبِيُّ ﷺ : «اجْعَلْهَا سِقَايَةً<sup>(١)</sup> لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرِهَا لَكَ» ، ففعلَ رَضِيَ عَنْهُ (٢) .

والحوادث الدالة على مشروعية الوقف كثيرة ، فقد وقفَ الرَّسُولُ ﷺ ووقف الصحابةُ رَضِيَ عَنْهُمْ ، ووقفَ الرَّسُولُ ﷺ سبعة حوائطَ<sup>(٣)</sup> كان قد فوضه بها أحد المجاهدين الذين قتلوا ، فجعلها النَّبِيُّ ﷺ على الفقراء والمساكين والغزاة المجاهدين وذوي الحاجات .

(١) أي سبيلاً ووقفاً .

(٢) أخرجه الترمذي ، والنسائي ، وأحمد في المسند .

(٣) أي بساتين .

ووقف المسلمون مسجد قُباء أول مسجد بُني في الإسلام في بداية الهجرة ، ثم وقفوا المسجد النبوي ، وكان أرض بستان لبني النجار ، فأراد النَّبِيُّ ﷺ أن يدفع لهم ثمنه فقالوا : وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فُسِّرَ لذلك ، ثُمَّ شَرَعَ فِي بِنَائِهِ مَسْجِدًا .

ووقف أبو بكر وعلي ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة بنتُ أبي بكر وصفية بنت حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . ووقف خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دروعه وفرسانه وعتاده في سبيلِ اللَّهِ تَعَالَى .

ووقف أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرضًا نفيسة يقال لها : يَبْرُحَاءَ وفيها ماءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ ، فَجَعَلَ كُلَّ

ذلك في فقراء قرابته ، استجابة لتوجيه النبي ﷺ ،  
الذي قال له : «أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» (١) .

وحَفَر سعد بن عبادة بئراً وسبَّلها لأمِّه . ووقف  
الزبير بن العَوَّام دَاراً له على المردودة (٢) من بناته ،  
وعلى الفاقدة (٣) ووقفت صفية بنت حُيَّيٍّ رضيَ الله عنها  
زَوْجُ النبي ﷺ على أخ لها يهودي .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضيَ الله عنه : ما أعلم  
أحداً (٤) ذا مقدرة ، إِلَّا حَبَسَ مَالاً مِنْ مَالِهِ ، صَدَقَةً  
مَوْقُوفَةً ، لَا تُشْتَرَى وَلَا تُورَثُ وَلَا تُوهَبُ .

(١) متفق عليه .

(٢) أي المطلقة .

(٣) التي مات زوجها .

(٤) من الصحابة .

فالوقوف بإجماع أهل العلم مستحبٌ ، وهو من خير الأعمال الصالحة والفضل الباقي . وهو عقدٌ لازمٌ لا يصح إلغاؤه أو الرجوع فيه إلا إذا تعطلت منافعه وذهبت عينه . وهو تحييسُ الأصل ، وتسبيل الثمرة أي الريع والنتاج .

كم الأمة اليوم هي محتاجةٌ لوقفٍ يعنى بالاستثمار والشمير؟! لكي تحقق علوية يدها ، وتكف عن الاستجداء لتحقيق مشاريعها الخيرية ، وكم يحلم كل صادقٍ باليوم الذي لا يرى فيه مسلماً شَحَازاً على أبواب المساجد أو في الطرقات ، أو أن تَدَهَى الأمة عَوَاصِفُ الجُوع ، وفواجع الخمصة والمسغبة . كيف يكون هذا ؟ إِنَّا أمةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ التي تتمتع برفدٍ



لا يمكن أن ينضب أو تُمحي آثاره إذا أحسن استغلال استثماره . وليست الأمة بحاجة إلى نظام يُدعى نظام التأمينات بجميع أشكاله وأوصافه وحيله وألعيه ، وعندها ما يكفيها ويكفلها من نظام الوقف بصورته الاستثمارية العامة . الأمة ليست بحاجة لأن تخاطر بما أنعم الله عليها وهي تملك قوة اقتصادية ، تظهر آثار ثماره في استغلاله على الوجه المرعي المنصوص عليه ، وبمراعاة شروطه وحدوده ، ومنها :-

- ١- أن يكون الواقف جائر التصرف ، بأن يكون عاقلاً ، بالغاً حُرّاً ، رشيداً ، غيرَ مُحْجُورٍ عَلَيْهِ لِفَلَسٍ أَوْ لِسَفِهِ .
- ٢- أن يكون الوقف منجزاً ، فلا يصح تعليقه على شرط .

٣- أن يكون الوقف مؤبّداً ، فلا يَصِحُّ أن يكون مؤقتاً .

٤- أن يكون الوقف في حال الصحة ، فلا يصح في مرض الموت .

٥- أن يكون مصرف الوقف معيناً معلوماً .

٦- أن يكون الوقف للبر والإحسان ، وحتى لو صُرف إلى الذرية والأولاد .

ومُنِعَ الوقف على المحرمات والمعاصي وما لا يتقرب به إلى اللَّهِ تَعَالَى ، ومثله ما يضر بمصالح البشر ، ويُفسد العلاقات الإنسانية .

كما حرم الوقف بنية الإضرار بالورثة أو حرمانهم من الميراث ، ومنع حصر الوقف في الأغنياء وتخصيصهم به دون غيرهم من الفقراء ؛ لما في هذا

من مخالفة مبدأ التقرب إلى الله تعالى بإشاعة الخير على ضعفاء الناس ومحتاجيهم : ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (١) .

وأمر الإسلام بأن يكون متولي الوقف (٢) متصفاً ولو بالحد الأدنى من الكمال الإنساني ، فاشترط له صفة العدالة (٣) والكفاءة . وشرع محاسبته والتحقق من أساليب إدارته للمال الموقوف . ورغب في إعطائه أجراً عادلاً على وظيفته ؛ استدامة لأسباب البر والخير ، وإعانة له على ما هو في سبيله ، ورغبة من الإسلام في توفير وتوسيع مجالات الخدمة الاجتماعية المجانية والتكافل بين

(١) سورة الحشر، الآية : ٧ .

(٢) أي ناظره ومديره .

(٣) أي الأمانة والنزاهة وحسن السيرة .

أفراد الأمة ، فقد أجاز وقف الأموال المنقولة كالمصاحف والكتب والأثاث وأدوات الطبخ ونحوها ؛ ليستفيد منها المحتاج إليها ، وكذلك وقف الأبقار والأغنام ؛ ليشرب من لبنها الفقراء والمسافرون وأبناء السبيل وغيرهم .  
كما أجاز وقف الأموال الثابتة غير المنقولة ، كالمساجد والمدارس والمستشفيات والقناطر والجسور .

شرع الإسلام الوقف على أشخاص مبهمين غير معينين ، لكنهم محصورون بأوصافهم كالفقراء والعميان والمرضى وطلاب العلم ، كما شرع الوقف على أشخاص معروفين ومعينين بأسمائهم .

ومن سماحة الإسلام وإنسانيته أنه أجاز الوقف على غير المسلمين من أهل الذمة ، من أصحاب

الديانات الأخرى المحتاجين إلى ذلك ؛ إشاعة للخير ، وإسعاداً للجنس البشري الذي كرمه الله تعالى ، وتوفيراً لمتطلباته الفطرية في حياة كريمة ، وتقدم أن صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقفت على أخ لها يهودي .

كما سمح الإسلام بوقف المشاع غير المقسوم ، ولو أنه لا يقسم مستقبلاً ، بشرط أن لا يضار الشريك ، كوقف دار لتُسكن ، أو بقرة ليشرب لبنها ، أو فرس ليجاهد عليها . وشرع للمحسنين أن يكون وقفهم مؤبداً لا مؤقتاً ؛ ليلبغ خيرهم مداه الأقصى الممكن ، في البعد الزمني على مر الأجيال اللاحقة ، وتدوم لهم آثاره الطيبة وحسن ثوابه المتجدد .

وأجاز الإسلام تأجير الوقف - بحسب رغبة  
الواقف - للاستفادة من ريعه في مجالات البر والخير  
التي يحددها الواقف ، أو تملئها الحاجة المشروعة .

كما أجاز أيضاً بيع الوقف المتعطل للحاجة ، إذا  
لم يعد الانتفاع به ممكناً ، ثمّ شراء ما يقوم مقامه -  
بحسب الإمكان - بالثمن الذي بيع به .

وأجاز وقف المريض في مرض الموت - وهو المرض  
الذي يُتَوَقَّى فيه - غير أن هذا الوقف يعتبر كالوصية ،  
ويصح منه المقدار الذي لا يتجاوز ثلث ثروة الميت ،  
إلاّ إذا رضي الورثة بأكثر من ذلك .

أمّا عن دور الوقف ، فلقد كان دوره بارزاً  
في أعمال البر والخير ، وتقديم الخدمات والمنافع

للأفراد والمجتمعات ، فبالإضافة إلى كفالة اليتامى  
والفقراء والمساكين والسهر على شؤونهم ، فقد  
أسهم الوقف في مجال تأسيس وإدارة المساجد  
والجوامع ، والمدارس والمعاهد ، والجامعات ،  
والمكتبات ، والمستشفيات ، والمقابر ، بل أمتد  
اهتمام الواقفين إلى راحة المسافرين ، فأنشأوا  
الاستراحات على بعض الطرق الرئيسة التي  
كانت تربط بين البلدان آنذاك ، كما اهتم الواقفون  
بالحيوانات والرفق بها وقد اهتم الواقفون كذلك  
بدعم أولي الأمر في الجهاد في سبيل الله خلال  
المسيرة الحضارية للمسلمين عن طريق وقف  
مستلزمات الجهاد من الخيول وغيرها .

ولمّا لم تكن هناك حدود أمام الواقف ما دام الوقف في غير معصية ، فإنّ مجال الوقف ما يزال موجوداً ، وسيبقى واسعاً ، والحاجة إليه قائمة ليكمل وظيفته ذات الأساس الشرعي في المساهمة في تنمية الشعوب والمجتمعات الإسلامية وفقاً لمعطيات كل عصر .

كانت بعض الأمم القديمة تمارس أنواعاً من التصرفات المالية ، تلتقي في بعض أهدافها ومدلولاتها بما تقدم عن الوقف الإسلامي ، وتخالفه في مجالات أخرى مهمة ، عقائدية وإنسانية وحضارية .

إنّ الوقف له أهداف سامية ، وإنّ الهدف الأسمى في الوقف هو التقرب إلى الله تعالى بالطاعة ، وتحقيق رضوانه ، ونيل ثوابه المتجدد ، طيلة استدامة أعمال البر



والمعروف والإحسان إلى خلقه ، ويظهر هذا جلياً في الحديث السابق ذكره : «مَنْ احْتَبَسَ فَرْسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ كَانَ شِبَعُهُ ، وَرِيَّهُ ، وَرَوْتُهُ ، وَبَوْلُهُ حَسَنَاتٍ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . غير أنه يضاف إلى هذا الهدف أهداف أخرى مهمة أيضاً ، قصدها الإسلام ؛ لكونه ديناً للحياة السعيدة ، جاء لتحقيق مصالح الإنسانية وهدايتها للتي هي أقوم ، ومن تلك الأهداف ما يلي :-

- ١- تنظيم الحياة بمنهج حميد متوازن ، يقوّي الضعيف ، ويعين العاجز ، ويحفظ حياة المعدم ويرفع من مستوى الفقير ، في الوقت الذي تُحترم فيه إرادة الواقف ، وتُحقّق رغباته الإيجابية المشروعة ، من غير إضرار به أو ظلم يقع عليه .

- ٢- تحقيق منافع معيشية واجتماعية وثقافية مستمرة ومتجددة في أزمنة متطاولة ، وذلك من خلال وقف الخانات <sup>(١)</sup> والسقايات والمستشفيات ودور العجزة ، والمساجد والمصاحف والكتب والمدارس ، ونحوها .
- ٣- إطالة مدة الانتفاع بالمال إلى أجيال متتابعة ، حيث تستفيد الأجيال اللاحقة بما لا يضر الأجيال السابقة .
- ٤- تأمين الواقع مستقبل أقربائه وذريته وغيرهم من الأجيال اللاحقة ، وذلك بإيجاد مورد ثابت لهم ، يدفع عنهم الحاجة والعوز ؛ لأنه قد لا يتهيأ للأجيال اللاحقة جمع ثروات تحميهم من عوادي الدهر .

---

(١) الضنادق .

٥- استمرار حصول القرية والثواب للواقف في حياته وبعد مماته .

وهكذا ، فإن مجموعة الأهداف المتقدمة تدل على سمو البواعث الوقفية في الإسلام ، ونبيل مقاصدها الإنسانية ، ولعل مجموع هذه الأهداف أو بعضها هي التي جعلت الإمام الشافعي يقول : «إِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ فِيمَا عَلِمْتُ لَمْ يَحْبِسُوا»<sup>(١)</sup> تَبَرُّراً<sup>(٢)</sup> ، وَإِنَّمَا حَبَسَ الْمُسْلِمُونَ .

(١) أي : يُوقِفُوا .

(٢) أي : طاعة .



## الْوَقْفُ فِي الْإِسْلَامِ (٢)

إِنَّ الوقف في الإسلام مؤسسة كبرى وقربة دينية عظيمة لها أبعاد إنسانية وحضارية واجتماعية واقتصادية ، ولهذا كان ولا يزال رمزاً للسماحة والعطاء وهو عصب الاقتصاد ومفجر الطاقات المبدعة في المجتمعات الإسلامية ، وهو من أهم الصدقات نفعا وأعظمها ثواباً يجري نفعه ويستمر عطاؤه ، فهو من أفضل الأعمال الصالحة وأحبها إلى اللَّهِ تَعَالَى ، ومصدر بر وإحسان إلى عباد اللَّهِ .

ويؤكد التاريخ الإسلامي أَنَّ الأوقاف شملت جميع مناحي الحياة وساهمت في مختلف مجالات التنمية

قديمًا وحديثًا . وقد أثبتت التجربة التاريخية الدور الكبير والعطاء المتميز للوقف كمصدر اقتصادي لتنمية المجتمعات الإسلامية ، والذي يشكل مصدرًا من أهم مصادر قوة المجتمع الإسلامي ، وقاعدة صلبة من قواعد بنائه ، ودعم إمكانياته البشرية والمادية .

وتبرز أهمية الوقف في كونه يستهدف بالدرجة الأولى تنمية الأفراد المنتفعين وتلبية احتياجاتهم ، سواء المنتفعين في الحاضر أو في المستقبل ، وتهيئتهم ليكونوا عناصر فاعلين في عملية التنمية بدلاً من أن يصبحوا عاطلين عن العمل .

وما أحوج المجتمعات الإسلامية اليوم إلى وجود

مؤسسات وقفية تتولى كثيراً من شؤون حياة المسلمين فقد تتوفر متطلبات الحياة في مكانٍ بينما نجد أماكن أخرى يعيش أهلها في شظفٍ من العيش . ولقد كان للوقوف دوراً مهماً فعّالاً في عملية التطور والنمو الاقتصادي وتحقيق عوائد مجزية وسخية على الموقوف عليهم بضمنان أطرادِ العوائد والجرايات بلا انقطاع في الغالب ، فكان منها أوقافٌ على المساجد والبيت الحرام والمسجد النبوي ، ومنها على العلماء ، ومنها مبرّاتٍ وصَدَقَاتٍ ، ومنها في المصالح العامّة والمنافع المطلقة ، وغيرها من أوجه البر والإحسان .

وقد أدرك أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ وحرصوا على أن لا يُفَوّتَ أحدٌ منهم نصيبه من الوقفِ ، قال

جابر بن عبد الله رضي عنه : «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله ذُو مَقْدَرَةٍ إِلَّا وَقَفَ» .

وهذا أيضاً مُقْتَبَسٌ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي عنه :  
«لَمْ نَرَ خَيْرًا لِلْمَيِّتِ وَلَا لِلْحَيِّ مِنْ هَذِهِ الْحُبْسِ الْمَوْقُوفَةِ» .

ومن حديث عبد الله بن عمر رضي عنه قَالَ :  
أَصَابَ عُمَرُ رضي عنه أَرْضاً بِخَيْرٍ ، فَآتَى النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله  
يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ  
أَرْضاً بِخَيْرٍ ، لَمْ أَصِبْ قَطُّ مَا لَأَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ ،  
فَمَا تَأْمُرُنِي فِيهَا ؟ فَقَالَ صلّى الله عليه وآله : «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ  
أَصْلَهَا ، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا ، وَلَا  
يُبْتَاعُ ، وَلَا يُوهَبُ ، وَلَا يُورَثُ» . قَالَ : فَتَصَدَّقَ بِهَا



عُمَرُ رضي الله عنه فِي الْفُقَرَاءِ ، وَذَوِي الْقُرْبَى ، وَالرَّقَابِ ،  
وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَالضَّيْفِ ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ  
يَأْكُلَ مِنْهَا ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا بِالْمَعْرُوفِ ، غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ  
فِيهِ ، أَوْ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ» (١) .

واستمر المسلمون الصادقون في العصور المفضلة  
وبعدها يوقفون ما يستطيعون من دورٍ ومساجد  
وأراضٍ وغيرها . فلم تعرف أُمَّةٌ من الأمم العناية  
بالأوقاف مثل أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلم ، بل إِنَّ المسلمين  
اعتبروا الوقف مجالاً خيراً مستمراً يُدِرُّ عليهم  
الأموال . أمَّا في العصور المتأخرة فقد ضَعُفَت الهِمَمُ ،  
وَضَعُفَ الْوَاظِعُ الدِّينِيُّ وَتَأَخَّرَ المسلمون وركنوا للدنيا

(١) أخرجه البخاري ، وأصحاب السنن .

واستسلموا لِمَلَذَّاتِهِمْ وقنعوا بدنياهم ، وغرهم طول  
الأمَل وحُبّ الدنيا وفيض المال ، وانصرفوا انصرافاً  
كُلِّياً عن رافِدٍ عظيم من روافد العزِّ والتمكين للأُمَّة  
عامّة وخاصة ، فالوَقْفُ بَدِيلٌ قَوِيٌّ لِأَيِّ مَوْرِدٍ ذي  
ثروةٍ يحقق غناءً لكنّه يُوشِكُ أَنْ يَتَلَاشَى أَوْ يُهَدَّدَ .

فلقد تنافس المسلمون الأوائل في تخصيص أوقافهم  
وفي توجيهها إلى حال من الإحسان دون الحال ، حتى  
بلغت مالا يخطر على بال إنسان أن يفعلهُ في شرقٍ  
ولا غربٍ . وقد اتسعت الأوقاف في العهد الأموي ،  
وازدادت رغبة النَّاس فيها ، ولم يعد الوقف مقصوراً  
على الفقراء والمساكين ، وإنَّما توسَّعت رقعته لتشمل  
دور العلم والعناية بها والعاملين فيها وإنشاء المساجد  
والملاجئ والمكتبات .

وقد حصل في ذلك العهد تطور إداري كبير في تلك المؤسسة الخيرية الإسلامية ، فبعد أن كان الواقفون يقومون بأنفسهم على إدارتها وتسيير أمورها ، قامت الدولة الأموية بإنشاء هيئات خاصة للإشراف عليها والاهتمام بها .

وكذلك في عهد العباسيين وفي الخلافة العثمانية كثرت الوقوف ، وتعددت مرافقها بسبب رغبة الولاة في هذا النوع من الصدقات ؛ لأنه يفيد في الاستمرار والديمومة مما اقتضى أن تصبح له تشكيلات إدارية واسعة تهتم بالإشراف على أمواله ومصادره .

ويمكن إيضاح أهمية الوقف في النهوض بالمجتمع المسلم من خلال هذه الأهداف ، التي يهدف إلى تحقيقها استثمار الوقف بصورة صحيحة :-

١- إحياء سنّة الوقف المهجورة المضیعة ، والمساء  
التصرف في إدارتها ونظارتها .

٢- تحقيق الأمن الاجتماعي لأفراد المجتمع الواحد  
بتحقيق معاني الأخوة والألفة والتضامن والتكافل .

٣- معالجة قضايا الفقر والبطالة من جذورها ، وتجذیر  
قيم لإدارة الأزمات والصعوبات .

٤- استغلال الطاقات والقدرات لدى خامات المجتمع .

٥- تحقيق كرامة المجتمع المسلم من الاستجداء والاستعطاء  
وتعزيز مفهوم اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى .

٦- توفير الأمن الوظيفي لدى الشباب ، واستغلال  
الطاقات المهدرة .

- ٧- الاستفادة من البرامج الحيوية والتقنيات الحديثة لتطوير برامج الوقف الاستثماري .
- ٨- تأمين رأس مال الوقف بأصول ثابتة استثمارية ، وتوظيف عائداتها في دعم البرامج الخيرية .
- ٩- استقطاب الكوادر المنتخبة ، التي يمكن الاستفادة من تجاربها وخبراتها في دعم العمل الخيري والمشروع الاستثماري الوقفي .
- ١٠- تقديم فعاليات وبرامج تربوية وتدريبية وتطويرية وتنموية .
- ١١- تنمية كوادر بشرية لعمل تطوعي مؤسسي بكفاءة وفاعلية .

١٢- تشجيع روح الإبداع والابتكار، والتجديد في مجال المشروعات الخيرية، وتطويرها والرقى بوسائلها وأهدافها .

١٣- توثيق التعاون مع كافة القطاعات الحكومية والأهلية .

١٤- استثمار ما لا يزيد عن ١٠٪ من رأس مال الوقف في استثمارات حيوية متحركة ، تتضمن مخاطرة بعوائد مربحة مستمرة ، وذلك في سوق التجارة المختلفة ، وصور الاستثمار المتعددة .

والعجيب أنّ الأعداء استفادوا من إحياء هذه السنّة المفقودة عند المسلمين ، فعمدوا إلى إنشاء المشروعات الوقفية ، بل إنّ الدول الكافرة وغيرها سنّت القوانين ووضعت الأنظمة الخاصة بالوقف ،

وليس سراً أنَّ المنظمات التنصيرية تعتمد في تمويل كثيرٍ من نشاطاتها التي تكلف آلاف الملايين من الدولارات على الوقف ، وعلى سبيل المثال تعد كثير من الجامعات الغربية من أبرز ما تدعمه المشروعات الوقفية مثل جامعة أكسفورد وغيرها .

### إنَّهَا أَغْنَى سُنَّةٍ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ

هكذا علقت مجلة (فوريس) على القائمة السنوية التي تصدرها لأعضاء نادي المليارديرات في العالم ، وبالتأكيد لم تكن هناك أي مبالغة في هذا الوصف ؛ فأعضاء القائمة البالغ عددهم (٩٤٦) مليارديراً نجحوا خلال العام الماضي فقط في إضافة (٩٠٠) مليار دولار إلى ثرواتهم لتبلغ (٣,٥) تريليون دولار ، بارتفاع قدره ١٩٪ عن العام

السابق ، ومن اللافت في قائمة هذا العام أنَّ الأثرياء العرب لم يكونوا بعيدين عن هذه الطفرة ؛ إذ سجلت قائمة هذا العام دخول (٨) مليارديرات جُدد ، ممَّا رفع عدد الأعضاء العرب في قائمة أثرياء العالم إلى (٣٣) شخصاً ، ويبدو أنَّ ذلك العام كان «عاماً مفترجاً» على مليارديرات العالم ؛ إذ نجحوا في رفع ثرواتهم من (١٠٧,٢) مليار دولار إلى (١٧٩,٧) مليار دولار ، وهو ما يتجاوز موازنات (١٥) دولة عربية مجتمعة من غير الدول النفطية ومصر .

لكن هذه الصورة «المضيئة» لها وجه مظلم ، حيث جاءت (٨) دول عربية إسلامية في ذيل المؤشر العالمي للجوع كما كشفت الإحصائية ؛ التي أعدتها منظمة «الفاو»<sup>(١)</sup> أنَّ ١٣٪ من سكان العالم العربي يعانون

(١) منظمة الأغذية التابعة للأمم المتحدة .



من سوء التغذية ؛ أي ما يعادل (٣٩) مليون شخص . وبالطبع فإنّ الفقر هو الوجه الآخر للبطالة ، ولهذا لم يكن مستغرباً أنّ ٢٠٪ من قوة العمل العربية البالغة (١١٣) مليون نسمة يعانون من البطالة ، فيما يُتوقع أن يصل عدد عاطلين إلى نحو (٦٠) مليون عاطل بعد (١٠) سنوات ، وفقاً لتقديرات مجلس الوحدة الاقتصادية العربية .

وهنا يُطرح السؤال الذي يحيرّ الكثيرين . كيف يزداد أثرياء المسلمين ثراءً فيما يزداد الفقراء فقراً ؟ بل يتمدد خط الفقر من عام لآخر ليضمّ ملايين المسلمين تحته ، كما ينضمّ مئات الآلاف من الشباب سنوياً لطابور البطالة ؛ ليشكلوا قبلة موقوتة تنذر بالانفجار في وجه مجتمعهم في أي لحظة .

وبوضوح أكثر فإنَّ قائمة «فوريس» السنوية بما تتضمنه من مليارديرات عرب ومسلمين تطرح علامة استفهام تتضخم من عام لآخر حول الدور الاجتماعي لأثرياء العرب والمسلمين ، وأين حق المجتمع في هذه الثروات ؟ وهل هناك التزام لا تفرضه القوانين ، ويتجاوز ما تقرره الأديان يجب على هؤلاء الأثرياء مراعاته ؟ ... إلزام ينبع من تقاسم الأثرياء والفقراء الإيمان بأنَّهم يصنعون مستقبلاً مشتركاً ، لدولهم وأُمَمَتِهِمْ ، ولا إمكانية لبقاء أحدهما بدون وجود الآخر .

## مُؤشّرات مُتضاربة

ربما تكون المفارقة الأولى التي يمكن ملاحظتها عند مقارنة المؤشرات العامّة لقائمة (فوريس) بمؤشرات العضوية العربية فقط ، هي : أنّ تزايد عدد الأعضاء الروس والصينيين والهنود بشكل ملحوظ مقارنة بالعام الماضي يبدو منطقياً في ظلّ تزايد مؤشرات النمو الإجمالية في هذه الدول ، ونجاحها في تحقيق قفزات اقتصادية رفعت من مستوى معيشة مواطنيها ، وعلى العكس من ذلك فإنّ تزايد عدد المليارديرات العرب يأتي متناقضاً مع تزايد معدلات الفقر والبطالة في دولهم ، ولعلّ ذلك ما يفسر شكوى معظم المواطنين

المسلمين من عدم إحساسهم بمردود نسب النمو الإجمالية التي تعلنها حكوماتهم ، فعدم التوازن في توزيع الثروة يجعل معدلات النمو تنعكس فقط في ازدياد ثروات الأغنياء بينما يزداد الفقراء فقراً ، وهذه هو الاتجاه الاطرادي لسياسة الرأسمالية العالمية ، والتي تمثلها أكثر من ثلاثة أرباع سياسة الكرة الأرضية .

ومع أنَّ هذا الاختلال في توزيع الثروات قد ألقى بظلاله على المجتمعات الغربية لسنوات طويلة ؛ إلا أنَّ الدور الاجتماعي الفعَّال للعديد من المليارديرات الأوروبيين والأمريكيين قد خَفَّفَ كثيراً من وطأة هذا التفاوت الرهيب على الفقراء ومحدودي الدخل في بلدانهم ،

وهنا تبرز إجابة «وارن بافيت» ، الذي حلّ ثانياً في قائمة الأثرياء لعامٍ من الأعوام ، عندما سُئلَ عَمَّا إذا كان من الأجدر أن يترك ثروته لأبنائه وأفراد عائلته ، فرد قائلاً : «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ عندما يكون لك أبناء لديهم كل الامتيازات من تربية جيدة وتعليم ممتاز وفرص أخرى كثيرة ، فإنَّ إغراقهم فوق ذلك بالأموال ليس بالأمر الحكيم ، أو المفيد بالنسبة لهم» . كما لم يكن «بيل جيتس» الرجل الأغنى في العالم بعيداً عن هذا المنطق ، حيث اعتبرَ أَنَّهُ من واجب أصحاب المليارات أن يجعلوا ثرواتهم في خدمة المجتمع ، داعياً الجميع إلى التحلي بروح الإحسان .

## حَقُّ الْمُجْتَمَعِ

إجابة «وارن بافيت» وتصريحات جيتس ، تمثّل  
 الفارق بين الأثرياء الغربيين ونظرائهم العرب ؛  
 فالرأسمالية الغربية وبعد عقود طويلة من امتصاص  
 عرق الفقراء واستعبادهم بدأت تُقلِّمُ أظافرَها بِنَفْسِهَا  
 ؛ كي ترتدي ثوباً أكثر إنسانية ، لعلّ ذلك يخفف  
 من الطابع المادي الصارخ للمجتمعات الغربية ، بينما  
 تبدو هذه الإنسانية صفة لصيقة بالتعاليم الإسلامية ؛  
 فالشرع يُبيحُ للإنسان التصرف في ثلث ثروته على  
 ألاَّ يَكُونَ لِلوَرَثَةِ الشَّرْعِيِّينَ نَصِيبٌ فِيهِ ، كما يَحْتُ  
 الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى إِعْطَاءِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ  
 يَحْضُرُونَ تَوْزِيعَ التَّرِكَةِ نَصِيباً مِنْهَا . قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلِ

حَكِيمٌ : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا  
مَعْرُوفًا﴾ (٨) .

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ  
قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ  
بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢١٥) .

هذا الدُّسْتُورُ الشَّرْعِيُّ ، هو بالضبط ما ينفذه بعضُ  
أثرياءِ الغربِ - للأسف - .

قَبْلَ أَيَّامٍ جَلَسْتُ إِلَى صَدِيقٍ نَتَأَمَّلُ مَا الَّذِي دَعَا أَغْنَى

(١) سورة النساء ، الآية : ٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٥ .

أغنياء العالم بيل جيتس ليتبرع بمعظم ثروته بعد وفاته إلى الجمعيات الخيرية ، فيما لم يترك لأبنائه إلاَّ الفتات القليل ، والقليل بالنسبة لأمواله كثيرٌ بطبيعة الحال؟! ألن يرفع أبناء الرجل لو كان يعيش بين ظهرائنا ، عليه قضية حَجْرٍ لمنع تَصَرُّفِهِ بأمواله ، بالنظرِ إلى كونه بَاتَ (يُبْعَثُ) أمواله ذات اليمين وذات الشمال ، وكيف سيستدلون على أنَّ تبرعه للجمعيات الخيرية ليس إلاَّ دلالة أكيدة على أنَّ أباهم بدأ (يُخَرِّفُ) ، ورُبَّما أثبتوا كذباً أنَّ هذه التبرعات ، تعبّر عن شكل من أشكال دعم الإرهاب ، وأنَّ أموالاً تبرع بها الوالد ، استخدمت من قبل متطرفين ... حتى نهاية سياقات دَعَاوَى الحَجْرِ التي نَسَمَعُ بها في مُجْتَمَعَاتِنَا ، يَمَنَّةٌ وَيَسْرَةٌ ، وليست عنا بعيدة ، ولا هي حالة واحدة أو حالتين .



لَمَّا سُئِلَ «جيتس» لماذا لم يترك كل أمواله لأولاده؟  
 قَالَ : «إِنَّهُ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْمَجْتَمَعِ وَيُرِيدُ  
 أَنْ يَعِيدَهَا إِلَى الْمَجْتَمَعِ ثَانِيَةً ، وَإِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لِأَوْلَادِهِ مَا  
 يَكْفِيهِمْ ، وَخَاصَّةً أَنَّهُمْ يَجِبُ أَنْ يَحَاوِلُوا أَنْ يَصْنَعُوا  
 أَنْفُسَهُمْ ، وَيَبْنُوا شَخْصِيَّاتَهُمْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَخْتَارُونَهَا  
 هُمْ لِأَنْفُسِهِمْ لَا الَّتِي وَجَدُوا وَالِدَهُمْ عَلَيْهَا» .

كم نسبة رجال الأعمال بيننا الذين يساهمون في  
 التنمية المجتمعية؟! وكم هم التجار الذين يحيلون  
 النسبة الصغرى وليست العظمى من أموالهم لصالح  
 جمعيات النفع العام؟! لا أنكر أَنَّ النماذج الإيجابية  
 موجودة ، لكنني كم أتمنى أن تكون صورة الوقف  
 الاستثماري لأمعة في مجتمعاتنا الإسلامية .

## وَالسُّؤَالُ الْأَهَمُّ

أليس أثرياؤنا وأغنياؤنا أولى من هؤلاء بتبرعاتهم ونفقاتهم؟ أليست مشاريعنا الخيرية والإنمائية أجدر بالرعاية والعناية والاهتمام؟ أليس فقراؤنا وأيتامنا وذوو الحاجة أحق بإنفاقات ذوي اليسار منا؟ لاسيما وأنا نمتلك إمكانات وثروات لا عدّ لها ولا حصر!! فإنّا نأمل أن يُسهم أصحاب الثروات والمحسنون في دعم مشاريع الوقف الاستثماري ؛ لأنّه سيوفر عليهم جهداً وبذلاً كبيراً جداً .

ومن الغرائب والفرائد وعجائب الدهر ؛ أن يهتم الكفّارُ بهذا الأمر ويولوه عنايتهم ، بل ويتبرعوا بشطر أموالهم وثرواتهم وهم لا يرجون من الله

شيئاً . فقد أوقف كثيرٌ من أثرياء الغرب ومنهم «بيل جيتس» ما لا يقل عن ٤٨ مليار دولار تستثمر لصالح البرامج التعليمية الخيرية ، ورعاية الموهوبين ، والخدمات الصحية ، واستطاع أن يقنع صديقه الملياردير «وارن بافيت» بوقف (٣١) مليار دولار مستثمرة لعلاج أمراض النساء في العالم ، وأمراض الأمومة بشكل خاص .

ولعلَّ الموقف المشرف للهندي المسلم مكتشف بريد الهوتميل «صابر باتيا» يأتي سناً بَرَقَ في عالمنا الإسلامي ، الذي أوقف أكثر من (٣٠٠) مليون دولار من إجمالي ثروته التي تبلغ (٤٠٠) مليون دولار ، التي استلمها مقابل ابتكاره لبريد الهوتميل الإلكتروني

من شركة مايكروسوفت ، في بناء العديد من المعاهد الدينية والتعليمية الإسلامية في بلاده وساعد كثيراً من الطلاب على من المحرومين على إكمال تعليمهم ، وغيرها من المشاريع الخيرية الكثيرة في بلاده الهند بين المسلمين ؛ التي كان لها الدور المثمر في التنمية والتطوير والمشاركة الفعالة .

فالوقف من أهم الأعمال التي تحقق مبدأ التكافل وعلوية اليد المؤمنة ، لقد كان الوقف بحق من أنجح الوسائل في علاج مشكلة الفقر والعوز ، حيثُ به تتبع المسلمون مواضع الحاجات مهما دقت وخفيت ، فَوَقَّفُوا لها أموالهم ، وهذا من رَحمة الإسلام واهتمامه بأمورِ الْوَقْفِ وشُؤُونِ الْحُبْسِ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ ، وَمَوَاضِعِ

الفَضْل . وقد اتَّبَعَ السَّلَفُ الصَّالِحُ هذه المآثِرَ ، واستنوا  
بِسُنَّةِ الإسلامِ القويمة في حفظ الحقوق ، والعهد للأُمَّة  
الكريمة بالخير بما أورثوهم من نماءٍ ونهضةٍ وبرٍ ، ولقد  
حققت الأوقاف على مر العصور وما زالت دورًا  
رائدًا في أعمال البرِّ والخير .

## الفهرس

المقدمة	٣
وفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ	١٧
البَدِيلُ الْحَقُّ	٣٥
التَّجَارَةُ فِي الْإِسْلَامِ	٨٧
الْوَقْفُ فِي الْإِسْلَامِ (١)	١٠٧
الْوَقْفُ فِي الْإِسْلَامِ (٢)	١٢٩
الفهرس	١٥٤

## المؤلف في سطور

الإسم : وهيب بن عبد الرحمن بن محمد خوج الصديقي

من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٩١ هـ .

● تلقى مراحل تعليمه الأولية إلى المرحلة الجامعية بمكة المكرمة .

● حاصل على درجة الماجستير والدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة الإمام الأوزاعي بيروت .

● عمل أستاذاً للتربية الإسلامية ومستشاراً شرعياً وقانونياً بعدة مجالات .

● يعمل حالياً إماماً وخطيباً بجامع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه بمحافظة جدة ، ومستشاراً شرعياً ومحامياً .

● مؤسسٌ لكثير من المراكز والمعاهد العلمية في عدة من دول العالم الإسلامي .

● له ثلاثون مؤلفاً ما بين مطبوع ومخطوط .

● له عدة مشاركات ومقالات في الصحف المحلية والمجلات العربية والإسلامية .

● له عدة نشاطات علمية محلية وخارجية .

## من مؤلفاته

- ١ - الوسائل المفيدة والأسباب المعينة للخشوع في الصلاة (مطبوع) .
- ٢ - الحرز الرصين للوقاية من الشيطان الرجيم (مطبوع) .
- ٣ - الحركات الإصلاحية الإسلامية في شمالي اليمن العربي في القرن الثالث عشر الهجري (تحت الطبع) .  
الإباضية وفقه العبادات ، دراسة فقهية مقارنة ،
- ٤ - كتاب الطهارة والصلاة (تحت الطبع) .
- ٥ - دراسة عن حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمته الله تُعني بفقهه وعلمه ودعوته ومذهبه وتصوفه ومؤلفاته (تحت الطبع) .
- ٦ - دراسة عن حياة الإمام ابن حزم رحمته الله تُعني بفقهه وعلمه ومذهبه ودعوته ومؤلفاته (تحت الطبع) .
- ٧ - التربية الخلقية في سورة النور (تحت الطبع) .
- ٨ - الزيدية في شمالي اليمن العربي ودورهم الإصلاحي والدعوي (تحت الطبع) .
- ٩ - فضل اليمن وأهله في القرآن والسنة (تحت الطبع) .



- ١٠ - غزار الأدب (سلسلة رسائل في الآداب والأخلاق)  
(تحت الطبع) .
- ١١ - فصول في الفرق الباطنية المعاصرة ، وبيان  
خطرها (تحت الطبع) .
- ١٢ - صفحات في الإصلاح الاجتماعي (سلسلة دروس  
ومحاضرات في التربية الاجتماعية) .
- ١٣ - رسائل في أعمال القلوب (سلسلة دروس ومحاضرات  
في التربية السلوكية) .
- ١٤ - القيم التربوية من السيرة النبوية (سلسلة دروس  
ومحاضرات في النهج النبوي) .
- ١٥ - قواعد وضوابط في علم الفرائض (سلسلة دروس  
ومحاضرات) .
- ١٦ - تيسير علم النحو (سلسلة دروس ومحاضرات) .
- ١٧ - الباقيات الصالحات (سلسلة تربوية في العبادات) .
- ١٨ - فنون الحوار والاتصال ، وفعالية وسائل الإقناع  
(مذكرة) .
- ١٩ - وثيقة مشروع عملٍ لمستقبل إسلامي جديد (مذكرة) .  
قواعد في الولاء والبراء (مذكرة) .

- ٢٠ - أصول الحسبة في منظور إسلامي متطور (مذكرة) .
- ٢١ - قواعد وفنون في التعامل مع الآخرين (مذكرة) .
- ٢٢ - فقه أشراف وعلامات الساعة الصغرى والكبرى  
برؤية عصرية (مذكرة) .
- ٢٣ - مبادئ الحزب الاشتراكي اليمني في ضوء الإسلام  
(مسودة) .
- ٢٤ - الحزب الاشتراكي اليمني نشأة وتطور (مسودة) .
- ٢٥ - تحقيق أهل الأثر في أحكام تتعلق بصلاة الوتر  
(قيد البحث) .
- ٢٦ - العرض في عقد التسبيح أدبار صلوات الفرض  
(قيد البحث) .
- ٢٧ - التجسد في صفات الإشارة بالسبّاحة في التشهد  
(قيد البحث) .
- ٢٨ - الأدلة النقلية والعقلية على فساد عبادة المدخن  
ومن في حكمه (قيد البحث والدراسة) .
- ٢٩ - إنصاف المخالف من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية  
في مجموع الفتاوى (قيد الدراسة والبحث) .
- ٣٠ - المذمومون في التاريخ (قيد الدراسة والبحث) .

للتواصل مع المؤلف

wab155@yahoo.com

تنسيق وإخراج أبو حمزة

hamzawi999@hotmail.com